عالم كلينيكس

عالم كلينيكس

د. ميشيل حنّا

تصميم الغلاف : أحمد عاطف مجاهد

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٢١٨

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٨٨- ٦

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

مكتبة اكتب : ٤٠ ش أحمد قاسم جودة من ش عباس العقاد ، خلف سيراميكا كليوباترا ، القاهرة .

هاتف : ٠١١١٤٣٢٨٥٢٥

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية ، ٢٠١٣ م

جميع الحقوق محفوظة©

دار اكتب للنشر والتوزيع

عالم كلينيكس

د. ميشيل حنّا

مقالات



دار اكتب للنشر والتوزيع



كلام يمكن أن تقرأه في آخر الكتاب!

كان صديقي "ميشيل حنا" – من غير حرف الدال!– محتارا فيمن يمكن أن يقدم له كتابه هذا الذي بين يديك، قال لي عدة أسماء لكتاب كبار كل واحد منهم كفيل بأن يجعل للكتاب شنة ورنة إذا ما كتب هو مقدمته، ولأن د."ميشيل حنا" – بحرف الدال هذه المرة!– عزيز علي وأتمنى له كل الخير وأدعو الله أن تحقق كتبه أعلى المبيعات فقد قلت له مداعبا : "سيبك من دول ياجدع.. إيه رأيك أكتب لك أنا المقدمة على اعتبار أننا من جيل واحد وكده ، وبعدين هتبقى حلوة برضه أن "محمد" يقدم كتاب لـــ"ميشيل" دي حاجة ولا صورة شيخ الأزهر والبابا وهم في الإفطار الرمضاني!".

والغريب أنه وافق على الفور، ولا أعرف لذلك سببا واضحا حتى الآن سوى أنه راجل طيب!

يكتب "ميشيل حنا" بطريقة أحسبها مسجلة باسمه، فهو قادر على أن ينطلق من فكرة صغيرة في حجم الفتفوتة– قد لا يلحظها أحد– ليقيم عليها بناء أصيل قوي ومتين، والجميل أنه لا يفعل ذلك بروح "الصانع المحترف" الذي بحكم الشغلانة تخرج منه بعض الأعمال باردة جامدة ، وإنما لا يزال متمسكا بـــ "نَفَس الهواة"، الذين تخرج كتاباهم كل مرة متوهجة وبنار الفرن

حتى لو تأخرت هذه الكتابات لفترة من الوقت "أحيانا بيكون الغاز خلص من الفرن!".

ما يميز كتابات مؤلف هذا الكتاب - اللي هو "ميشيل حنا" بالدال ومن غيرها!- هي أنها تتميز بحس ساخر ينتزع منك الضحكة و الابتسامة دون ابتذال أو زج بألفاظ فجة، ودون مباشرة أيضا أو محاولة لـ"زغزغة القارئ" مثلما يفعل بعض الكتاب الآخرين الذين يتصورن أن السخرية هي إجبارك على أن تضحك غصب عنك!

والأجمل فيما يكتبه "ميشيل حنا" أنه ليس ساخرا في المطلق كده، بل أن الضحكة هنا قد تكون نابعة من تناقض يكشفه لك رغم أنك تعيشه ولا تدركه، أو من معلومة ربما تكون قد قرأها دون أن تدرك "خفة الدم" الموجودة فيها، أو حتى من موقف ربما مررت به في الصغر، إلا أن طريقة الحكي والكتابة المختلفة هي وحدها التي تجعلك تقول مبتسما "ده صحيح فعلا".

ليس هذا فحسب، بل أن "ميشيل حنا" من النوعية القليلة التي تدرك قيمة الكلمة وتأثيرها، لذا فهو لن يضيع وقتك في قراءة لن تخرج منها بشيء، إذ أنه يمتلك القدرة على أن يمزج أثقل المعلومات ظلا وأكثرها "كلكعة" في مقالاته بطريقة سلسلة وفاتحة للشهية، إضافة إلى أنك ستشعر في كل ما يكتبه بـــ"حس إنساني" واضح، وستتلمس في حروف ما يسطره المشاعر الإنسانية على اختلافها وتنوعها دفئها وبرودها.. فرحها وحزنها.

تريد أنت الآن أمثلة لكل ما سبق وأن قيل في السطور السابقة؟

حقك برضه!

حسنا، يمكنك أن تبدأ في قراءة الكتاب الآن وفورا، مزيحا هذه المقدمة جانبا، فقط عدني بأنك ستعود إليها من جديد بعد أن تنتهي من الكتاب لتجيب على هذا السؤال الصعب..

هل كنتُ حقا "فنجري بق" ومجاملا لواحد صاحبي، أم كنت صادقا قائلا للحق- مش ابن عمه؟!

محمد هشام عبيه

عن العيشة واللي عايشينها

الساعة كام؟!

كرهت ارتداء الساعة من كثرة الذين يسألون عنها.

كل خمسة أمتار وأنت سائر تقابل واحدا منهم. يسألون: "الساعة كام؟"، وأحيانا "كام الساعة؟"،وأحيانا أخرى "الساعة؟" فقط، أو يكتفون بالنقر على معاصمهم بالسبابة مع تلعيب الحواجب في إشارة واضحة إلى ما يريدون.

أكثرهم يركبون الحافلات العامة خاصة المزدحمة منها، وقد يغرز أحدهم كوعا في بطنك ويقف على رجلك بقدميه الاثنتين ويلصق فما بأذنك سائلا: "الساعة كام؟".وليته يكتفي بأن يعرف الساعة الآن فقط، لكنه يطمئن على السير الطبيعي للوقت كل خمس دقائق.

تجدهم أيضا في محطات المترو، ورغم أن كل محطة بها ساعة معلقة لها حجم ملعب كرة القدم، إلا أنهم يستسهلون السؤال على توجيه الرقبة وجهة الساعة.

كما أن أصحاب الساعات أنفسهم يسألون عن الساعة، ربما لمزيد من الحيطة والتأكد.

ولا أعرف لماذا يسألونني أنا بالذات، فلا بد أن في شكلي ما يوحي بالطيبة الزائدة التي تشجع على السؤال. شيء كهذا كان يحدث معي عندما كنت في المدرسة: فقد كنت الطالب الوحيد الذي يحضر معه مبراة (أو بالبلدي برايّة) إلى الفصل وعلى مدى خمس سنوات متتالية. وكانت المدرسة كلها تبرى أقلامها الرصاص عندي، ويرون في هذا حقا طبيعيا لهم، كما لا يرون في مخلفات البري التي يتركونها حولي أي إزعاج لي. إلى أن ظهرت الأقلام النصف مللى فأراحتني من هذه المشكلة، سوى من أن المدرسة كلها كانت تأخذ مني السنون التي يستخدمها القلم، فقد كنت الطالب الوحيد في المدرسة الذي يحضر معه علبة للسنون.

وفكرت حلا لمشكلة الساعة أن أدعى أنها معطلة أو غير مضبوطة، إلا أنني كنت أواجه بنظرات الاستهجان وعدم التصديق. ثم فكرت أن أتوقف عن الخروج إلى الشارع من الأساس، وكان سيصبح حلا جذريا لولا أنه غير عملي. وكان الحل الأمثل أن أتركها في البيت، لكنها سبقتني وعطلت، ربما من كثرة نظرات الناس إليها.

وظننت أنني سأرتاح، لكنهم ظلوا يسألونني عن الساعة رغم ذلك! فتوقفت عن ارتداء القمصان ذات الأكمام الطويلة حتى يكون موقفي واضحا، إلا أن هذا أيضا لم يشفع لي. ولم يعد

أمامي سوى أن أعلق لافتة على صدري وأكتب عليها أنني لا أمتلك ساعة، إلا أنني تذكرت أولئك الذين لا يعرفون القراءة.

صرت أجد الآن متعة كبرى في عدم ارتداء الساعة. أشعر أنني خفيف ومعصمي صار حرا وقد كان مكبلا. لكنى أحاول الحفاظ على مشاعر وخصوصية الذين حولي بقدر الإمكان، فأعرف الوقت من معاصمهم عن طريق النظر دون إزعاجهم بالأسئلة. إلا أنني في بعض الأحيان لا أستطيع أن أستبين الأرقام والعقارب، إما لسمك نظارتي وإما للوضع غير المستقيم ليد صاحب الساعة، فأضطر هنا أن أسأل: الساعة كام؟!

وحدي.. مع دفتر العناوين!

نظرت في دفتر عناوين الأوتلوك، فوجدت ٣٣٦ عنوانا بريديا! هل أنا أعرف فعلا ٣٣٦ شخصا وقد أرسلت لكل منهم على الأقل رسالة واحدة خلال الأعوام القليلة الماضية منذ بدأت تعاملي مع الإنترنت؟

إن هذه فرصة طيبة لنر إلامَ وصلت قائمة أصدقاء الماسنجر، دقيقة لأنظر، ها هي، ١٧٧ اسما! لا عجب أن كثيرين يسلمون عليّ وأنا متصل بالإنترنت دون أن أتذكرهم، ورغم أنهم يتضايقون كثيرا لعدم تذكري محادثاتنا السابقة،بينما أنا في الحقيقة لا أتذكر من هم هؤلاء الأشخاص أساسا، فإنني أيضا معذور، فكيف أتذكر كل هذه الأسماء المستعارة والحقيقية والعناوين البريدية لكل هؤلاء الأشخاص الذين لم أقابلهم أبدا من قبل؟

ليس من عادتي التخلص من الكراكيب أولا بأول كما يفعل البعض، ولديّ ضعف خاص تجاه التخلص من الأوراق بالذات، لذا فلديّ حتى الآن دفتر التليفونات الذي كنت أستعمله في المرحلة الابتدائية! ودفتر الإعدادية والثانوية والكلية أيضا، بالإضافة إلى الدفتر الذي أستعمله حاليا. ولا أعرف كم اسما صار يقبع هناك في ذاكرة ذلك الجهاز العجيب المسمى بالموبايل، لكني أعتقد أنهم زهاء المائتين، ومعظم هذه الأسماء غير مدونة في الدفتر.

لديّ أيضا بلوك نوت صغير كنت أكتب فيه العناوين البريدية للأشخاص الذين كنت أراسلهم. كان هذا قبل انتشار البريد الإلكتروني الذي قضى تماما على كل أثر للمراسلات الجميلة المكتوبة باليد،والتي كنا نشترى لها الأظرف المزخرفة بالرسومات الفرعونية – إذا كان الخطاب مرسلا إلى دولة أجنبية – حتى نثبت مدى أصالة الحضارة المصرية، ونضع عليها الطابع الذي يحمل صورة القناع الذهبي لتوت عنخ آمون، ونظل ننتظر لشهر أو أكثر حتى نرى ردا! كل هذا انتهى الآن، لكن دفتر العناوين لازال موجودا هو الآخر.

حسنا، ماذا يمكن أن أفعل إذا أردت أن أقول "كل سنة وأنت طيب" لكل واحد من هؤلاء في العيد، وكم من الوقت يستغرق هذا الأمر؟ فحتى إذا أردت أن أكتفي بمجرد رسالة إيميل أو SMS فإن كل هذه الأسماء ستستغرق وقتا طويلا جدا. ثم كيف أحتفظ بعلاقة، حتى ولو كانت في حدها الأدنى، بكل هذا العدد من الأشخاص؟ بل ولماذا أحتفظ بكل هذه العلاقات أصلا؟!

فبالتقليب في هذه الأسماء المدونة لديّ، وجدت أن القليل جدا منهم أصدقاء حقيقيون، بينما الكثير منهم أشخاص يستحقون الحرق بجاز! وحيث أن الجاز قد ارتفع سعره مع ارتفاع أسعار المنتجات البترولية، فالحل الأرخص هو شطب هذه

الأسماء! وحاولت بالفعل مع دفتر عناوين الأوتلوك، واستطعت مسح سبعة وثلاثين اسما لأشخاص تذكرت أنهم في غاية الغلاسة، لكن ظل عدد الأسماء المتبقية كبيرا برغم ذلك، ومعظمهم أشخاص لا أتذكرهم وأخشى أن أمسح عناوينهم فأحتاج إليها بعد ذلك.

من المعروف أن تطور بعض الاتجاهات التكنولوجية يؤدى إلى تأخير تطور اتجاهات أخرى تتعارض معها. مثلا، فإن تطور وسائل الاتصال يؤدى إلى تخلف تطور وسائل النقل، فإذا كنا نستطيع أن ننجز أعمالنا دون أن نتحرك من أماكننا فلا داعي للاستثمار في مجال تطوير النقل، وبالعكس فإذا كنا نستطيع أن نقطع آلاف الكيلومترات في دقائق معدودة فإن تطور وسائل الاتصال يصبح غير ضروري، وهكذا.

كم باعدت بيننا ثورة وسائل الاتصالات، فبينما عرّفتنا على أشخاص لم نكن لنعرفهم لبعد المسافة المكانية والجغرافية، لكنها باعدت بيننا وبين الأقربين إلينا، وتحول أصحابنا ومعارفنا إلى مجرد أسماء في دفاتر أمامها أرقام وحروف وعلامات @ و com. و net.، مجرد أسماء لأشخاص نظن أننا نعرفهم، بينما نظل في وحدتنا، وحدنا.

لأنيس منصور كتاب بعنوان (وحدي مع الآخرين). عندما طبع الكتاب فوجئ بأن الناشر قد غير الاسم إلى (وحدي ومع

الآخرين). ظن الناشر أن هناك شيئا ما خطأ، لكن أنيس منصور كان يقصد أن يصف كيف يشعر بالوحدة حتى وهو وسط الناس. واليوم ورغم تحول العالم إلى قرية صغيرة فإننا لا نزال نشعر بالوحدة، وتحولت علاقتنا ببعضنا إلى علاقات وهمية قائمة على الشاشة ولوحة المفاتيح وأزرار الموبايل دون دفء التواصل الحقيقي، دون أن نتصافح ونشد على أيدي بعضنا ونربت على الأكتاف فنشعر أننا لسنا وحدنا في هذا العالم الواسع القاسي.

معجزة اللفت المخلل!

عندما أشتري ساندويتشات الفول والطعمية،وأجد في الكيس بعض المخلل فوق البيعة، أتناول الجزر والخيار فقط ولا ألتفت إلي اللفت. فاللفت المخلل عادة ما يكون طريا ومنتفخا بالماء والخل، وأنا لا أحب ذلك.

أمس كنت أقف في الطابور عند مطعم الفلافل، قال الرجل السوري أمامي: "وحياتك حبيبي حط مخلل أبيض بس". عندما عدت إلى المترل نظرت إلي المخلل وأخذت أتذوق المخلل الأبيض. لم أكن أعرف أن هناك من يحب اللفت المخلل وكنت أظن أن كل الناس مثلي يأكلون الخيار والجزر ويتركون اللفت. استلذذت طعم اللفت لأنني رأيت أن هناك من يحبه، هل كنت سأفكر في اللفت إذا لم يمتدحه الرجل السوري؟

كانت ميرفت زميلتي في المعمل ترفض رفضا باتا أن تقبل مني زجاجة الشويبس بالليمون، ولا ترضى إلا بزجاجة البيبسي التقليدية. ترفض ميرفت أن تجرب أي شيء جديد ولا تتعامل إلا مع ما تعرفه فقط. وكنت أسألها: إذا كنت لم تجربي البيبسي هو أيضا قبل ذلك، فهل كنت سترفضين شرب أي شيء على الإطلاق؟ لكنها لم تكن تقتنع.

بنات الجامعة عموما أصبحن أكثر بجاحة هذه الأيام عما كنا نرى في الأفلام والمسلسلات، فنيفين مثلا كانت بمجرد أن تراني حتى تسأل: هتعزمني على إيه النهارده؟! وفي ظل ارتفاع الأسعار المطرد فالبنات صِرن يكلفن كثيرا هذه الأيام، ويشكلن عبئا كبيرا على الطالب المسكين الذي لا يمتلك إلا مصروفه! ولكن حتى نيفين لا تقبل إلا أنواع الشيكولاته التي تعرفها.

أستطيع الآن أن أشرب الشاي بدون سكر، وأستطيع أيضا أن أشربه بملعقة واحدة، أو ملعقتين، أو ثلاث. يمكنني أيضا أن أستبدله بينسون أو قهوة أو حتى حلبة حصى، ويمكنني أن أستغني عنه تماما. جرب، مجرد تجربة أن تغير من عاداتك الغذائية واكتشف أشياء جديدة لا تراها ولا تنتبه إليها رغم أنها أمامك. حسنا، هل غيرت ثوابتك وتابوهاتك الغذائية؟ جرب الآن أن تكسر تابوهاتك الشكلية، إذا كنت تحب القمصان السادة، لماذا لا تجرب اليوم أن ترتدي قميصا مخططا؟ أو كاروهات؟ أو اترك القمصان في حالها وارتدِ تيّ- شيرت. لا يهم ماذا يقول الناس. ربما إذا رءوك بشكل جديد اعتقدوا أن هذه هي الموضة وفعلوا مثلك! لا تنتظر الموضة حتى تفرض نفسها عليك، بل اصنع أنت الموضة بنفسك.

جرب أن تستيقظ قبل الميعاد لترى ماذا يكون شكل الدنيا التي لم ترها أبدا في هذا الوقت، جرب أن تؤخر ساعة نومك لترى ماذا يفعل الناس في الشوارع في الثانية صباحا!

جرب أن تغير عنوان سكنك، جرب أن تغير عملك، جرب أن ترى أناسا آخرين، أن تصادق أصحابا لم تعرفهم من قبل. جرب أن تغير حياتك بالكامل، حياتك التي انحصرت بين عدد محدود من الجدران.

وإذا استطعت أن تفعل كل هذا، جرب أن تأكل اللفت المخلل وأن تترك الخيار والجزر!

عالم كلينكس!

لا أعرف كيف كان يعيش الناس قبل الكلينيكس.

اكتشفت أننا نستهلك كميات هائلة من الكلينيكس في المترل،حتى أننا أصبحنا نشتريه بـــ"البالة" بسعر الجملة توفيرا للنفقات.هناك علبة كلينيكس في كل غرفة، وفي السيارة، ومناديل للجيب توضع في الجيب عند الخروج. فإذا خرج المرء من مترله وجب عليه أن يتسلح بالعلم والمال والمناديل.

عبقرية مناديل الكلينيكس هي أنها غير قابلة لإعادة الاستخدام. تستخدمها مرة واحدة وتتخلص منها. يمكنك أن تمسك بها كل ما هو غير نظيف ثم ترميها. تحمل المناديل في جوفها كل ما هو قذر ومقرف وتذهب به بغير رجعة غير مأسوف عليها. مسكينة أيتها المناديل!

من أهم المشاكل التي كانت تقابل العروسة حديثة الزواج قديما كيفية التعامل مع مناديل زوجها. كان الناس فيما مضى يستخدمون المناديل القماشية العملاقة التي تأتي من المحلة الكبرى. يمسحون بها العرق ويتمخّطون فيها مرارا وتكرارا ثم يلقون بها في الغسيل لتتصرف فيها الزوجة المسكينة. لابد هنا من إخراج

الصفيحة العملاقة والعصا الخشبية وغلي المناديل على البوتاجاز، فهذه هي الطريقة الوحيدة لتخليصها من البرابير – عفوا المخاط.

اليوم لم تعد هذه المشكلة موجودة فشكرا للعلم الحديث.

للكلينيكس استخدامات كثيرة لا تحصى فضلا عن التمخّط، ولن نتطرق إلى استخدامات الكلينيكس في الحمام حتى نحافظ على الشكل المهذب للمقال. يمكنك إمساك أي شيء قذر دون أن تلوث يديك، وأن تلمّع زجاج النظارة لترى ترجمة الفيلم الأجنبي جيدا، وتمسح بها دموعك عندما تسمع عبارة "كل شيء قسمة ونصيب"، وأن تفرشها على كرسي الحديقة حتى لا توسخ البنطلون، وتضعها على أنفك بينما تحاول اكتشاف مَنْ تناول المحشي على العشاء، وتستخدمها كوسيلة للتواصل الاجتماعي عندما تسلّفها لمن حولك.

وعندما كنا صغارا كنا نعقد مسابقة: نبلل مناديل الكلينيكس بماء الصنبور ثم نلقي بها على الحائط فتلتصق عليه والفائز هو من تلتصق مناديله بأعلى جزء من الحائط!

اخترعت مناديل الكلينيكس في الحرب العالمية الأولى كبديل للقطن لاستعماله كفلاتر للغاز، ولا يزال الكلينيكس فعالا في حجب الروائح الكريهة والغبار إذا غطيت به أنفك، ويمكنك أن تجرب هذا الأمر بنفسك. كان هناك نقص في القطن أثناء

الحرب، وكان الطلب عليه عاليا للأغراض الطبية، مما دعا إلى اختراع هذا البديل الرخيص والعملي. بعد الحرب تم طرح الكميات المتبقية من المناديل الورقية في السوق كمزيل للماكياج تحت اسم كلينيكس Kleenex، وقد كانت هذه أول ماركة تجارية يباع تحتها هذا الاختراع، وقد التصق به هذا الاسم حتى الآن رغم مئات الأسماء التجارية التي أطلقت عليه بعد ذلك. انتشرت المناديل الورقية في كل أنحاء العالم بعد هذا. ظهر أيضا بعد ذلك ورق التواليت للاستخدام في الحمامات، وهو أقل قوة بكثير من المناديل الورقية العادية لأنه مصمم بحيث يتحلل في الماء.

يُعبّر الكلينيكس عن ثقافة الـ Disposable العصرية، ثقافة استعمل مرة واحدة ثم ارمِ. ثقافة الكثير الرخيص الذي لا تحتفظ به ولا تصنع معه علاقة شخصية.وتتعاظم ثقافة الـ Disposable في حياتنا يوما بعد الآخر،حيث امتدت من مناديل الكلينيكس إلى القفازات وبعض أنواع الملابس والمناشف وأدوات المطبخ والمائدة والأدوات الطبية، وتتجه بقوة الآن إلى عالم الأجهزة الكهربية، حيث هناك مشاريع لإنتاج موبايلات تستخدم مرة واحدة ثم يتم التخلص منها، مثل تلك الموبايلات التي ظهرت في فيلم Ultraviolet، وكاميرات للاستخدام خلال الرحلة الواحدة. استغنينا عن الكوافيل لصالح البامبرز، وعن حقيبة الخضار لصالح الأكياس البلاستيكية، وعن أقلام الحبر الغالي لصالح أقلام الحبر الجاف التي نتخلص منها بعد أن تنفد،

وعن الولاعات الرونسون الأنيقة مقابل الولاعات البلاستيكية التي نشتريها من على الأرصفة. كل شيء يجب أن يكون مصيره النهائي في القمامة.

وتنعكس ثقافة الكلينيكس أيضا على علاقاتنا الشخصية. لم تعد العلاقات قوية مخلصة كالماضي، علاقات مصالح تبدأ بمنفعة وتنتهي إلى قمامة النسيان. لم تعد هناك صداقة حقيقية خالية من المصلحة. لم يعد هناك الحب الذي يفنى في حب المحبوب، وإنما أصبح هناك "بيبو فرقع جيجي" وتخلص منها مثل منديل كلينيكس وأخذ يبحث عن منديل جديد وعلاقة جديدة تنتهي مثل سابقتها.

ولازالت أهمية الكلينيكس في ازدياد في حياتنا، وليس من المستبعد في المستقبل أن يضع العريس منديلا من الكلينيكس في جيب الجاكيت الأمامي وهو ذاهب إلى العُرس!

سحر الحكاية

كان الأمير يتناول إفطاره عندما جرح إصبعه بالسكين. سال دم الأمير الأحمر وسقط في وعاء اللبن الأبيض، فتكون لون وردى عجيب. توقف الأمير عن الأكل ولم يهتم حتى بتضميد إصبعه وأخذ يحدق في الوعاء مذهولا. التفت الأمير إلى والده الملك وقال: هل ترى يا والدي هذا اللون؟ لقد قررت أن أتزوج من فتاة تكون لبشرتها هذا اللون بالضبط، لن أتوقف عن البحث عنها حتى لو جبت كل البلاد، وحتى لو أنفقت عمري كله في البحث. وبالرغم من محاولات الملك لإثنائه عن فكرته المجنونة، إلا أن الأمير صمم على رأيه وقد استحوذت هذه الفكرة على كل كيانه، فخرج وحيدا مع حصانه وبعض المؤن، ليبحث عن فتاة أحلامه في طول البلاد وعرضها.

فلنترك الآن الأمير في مشكلته، ودعوني أسألكم هذا السؤال: هل استطعت أن أجذب انتباهكم للقراءة حتى استطعتم أن تصلوا إلى هذه النقطة دون أن تشعروا بالملل؟

حسنا، أعتقد أنني استطعت! وليست هذه براعة مني لكنه سحر الحكاية، واسألوا الأمهات ماذا تفعلن عندما تردن أن تسكتن الأطفال، إنهن تحكين لهم حكاية فيسكتون على الفور!

كانت الحكاية السلاح الذي أنقذت به شهرزاد نفسها من الموت، لم تنقذ نفسها بسيف أو رمح أو ترس، وإنما ظلت تحكى لشهريار الحكاية تلو الحكاية، وشهريار جالس مثل الطفل مسحور بالأحداث الغريبة والأشياء العجيبة التي تحدث لأبطال القصص. كل حكاية كانت تزيد في عمر شهرزاد ليلة أخرى. وبعد ألف ليلة وليلة أنهت شهرزاد الحكايات ودخلت على شهريار بأولادها الثلاثة "واحد يمشي وواحد يحبو وواحد يرضع" كما يقول النص، فأعتقها إكراما لهؤلاء الأولاد الذين أنجبهم منها على ما يبدو دون أن يدرى من وهم الحكايات التي كان غارقا فيها!

أتذكر أنني قرأت الجزء الأول من كتاب ألف ليلة وليلة، وهو كتاب يربو على ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير والخط الصغير بدون تقسيم الجمل إلى فقرات أو وضع فواصل أو نقط، وبلغة عربية عتيقة صعبة، في يومين فقط لا غير. وكنت لا أفعل شيئا طيلة اليوم سوى قراءة الكتاب لا أتركه إلا لقضاء ضرورة (بلغة ألف ليلة!). كنت أسيرا لسحر الحكاية.

تقول الكاتبة الجميلة سلوى بكر في أحد مقالاتها، أنها لم تستطع سوى أن تختلس قصة مدينة النحاس لكامل الكيلانى في حقيبة المدرسة، فقد كان البطل لا يزال في بداية مدينة النحاس وحصة القراءة انتهت، ولا يمكن أن تظل واقفة عند باب المدينة

حتى الأسبوع القادم! تقول سلوى بكر: "بسبب مدينة النحاس، دخلت السكة التي يروح منها الإنسان ولا يعود، وهي سكة القراءة وحب الكتب".

هناك أيضا آلاف المسحورين في المنازل، الذين يتابعون حكاية مسلسل الثامنة يوميا ولا يفوتون منه حلقة، وبغض النظر عن مستوى مسلسلات التليفزيون، فإن المشاهدين لا يعرفون إن كان المسلسل جيدا أم سيئا إلا بعد انتهاء الحلقة الأخيرة!

وكم أسَرَنا كُتّاب بقصصهم المسلية، يجعلوننا مقيدين بسحر الحكاية لا نستطيع منهم فكاكا ولا نعرف لحكاياتهم آخر. وكم يدفع الناس في السينما "ليشاهدوا" الحكاية. وكم يجلسون بجوار الراديو "ليسمعوا" الحكاية. الكتب السماوية نفسها تمتلئ بالحكايات. وسنظل أبدا نقع أسرى الحكاية الجميلة، وإلا فاعترفوا: ألا تريدون أن تعرفوا ماذا حدث للأمير بعد ذلك؟

صورة الكاتب

لفترة طويلة من الوقت،ظللت مشغولا ومنبهرا بصورة الكاتب. كيف يكتب وما هي طقوس الكتابة لديه وما هي الظروف التي تؤدي إلى ظهور الفكرة وتبلورها، والظروف البيئية المحيطة التي تجعل عملية الكتابة سلسلة وسهلة لتخرج الكتابة نفسها جيدة. هل ظروف الكتابة الجيدة تصنع أدبا جيدا؟ أم لعلها الظروف الصعبة القاهرة التي تنضج الأدب؟

في فترة من الفترات، ترسب لدي اعتقاد، من كثرة قراءتي للأدب العظيم الذي كتب في السجون – أعمال كثيرة لمصطفى أمين مثلا ولنوال السعداوي وصنع الله إبراهيم – أن الأديب لكي يكتب جيدا يجب أن يدخل السجن! وتقريبا معظم الأدباء العظام من جيل الستينات قضوا فترة من حياتهم داخل السجن. لكن ما الذي يجعل السجن يشحذ الهمة الأدبية بهذا الشكل؟ هل هو وقت الفراغ الهائل؟ بالفعل يوفر السجن وقت فراغ كبير بعد التحرر من قيود الوظيفة والأعباء الأسرية، لكني أعود فأفكر أنه يكفي أن يجبر المرء نفسه على التفرغ للكتابة للحصول على وقت فراغ مريح ولا داعي للبهدلة في السجون!

ومما ساهم في تعزيز تلك الفكرة لدي كتاب يوميات الواحات لصنع الله إبراهيم، والذي يحكي فيه عن العوامل التي

صنعت منه كاتبا، خاصة تلك الأشهر التي قضاها في سجن الواحات، وقراءاته وتجاربه في الكتابة التي بدأها هناك. ويخبرنا أنه بعد أن خرج من السجن انتقل إلى غرفة صغيرة في مصر الجديدة بدأ فيها مشروعه ككاتب، ثم ينهي الكتاب بهذه الجملة البليغة الرائعة: "ففي غرفة مصر الجديدة والغرف التي تلتها كنت أتدبر أكبر مغامرة قمت بها في حياتي وهي أن أكون كاتبا".

هل الألم والقهر ينضجان الأدب بهذا الشكل؟ ربما، لكن صورة الأديب المسجون المقهور لم تعد تبهرني بعد أن تفرجت على صور لأدباء أجانب مليونيرات يكتبون في مكاتبهم المكيفة في الأدوار العليا من ناطحات السحاب ذات الواجهات الزجاجية التي تطل على المحيط، وهناك سكرتيرة بالخارج تبحث لهم عن الكتب والمعلومات التي يحتاجون إليها، والبوفيه يحضر ما لذ وطاب من مشروبات عند الضغط على الزر الذي على المكتب الفخم، أمامهم اللابتوب وبجوارهم سماعات ستريو بالريموت كونترول تسمعهم الموسيقى التي يحبونها. تبهرني أيضا الصورة التي تضعها جوان رولينج في الصفحة الافتتاحية لموقعها. أزرار الكيبورد والأوراق والصور واللبان والبونبون والديسكات.. كل شيء مبعثر بطريقة خلاقة! هذه هي صورة الكاتب التي أحببتها وأبهرتني، فلم أعد الآن منبهرا بالكاتب المسجون طويل الذقن الذي يقضي حاجته في الجردل ويكتب قصصه على أوراق التواليت.

هناك الكثير من القصص التي تدور في عالم الكتّاب، ويبدو أن فعل الكتابة يصيب مرتكبه بالجنون في النهاية! كثير جدا من قصص ستيفن كينج - كاتب الرعب الأشهر - تدور في عالم الكتّاب وعاداهم التي تنتهي هم نهايات مرعبة. قصة "النصف المظلم" بطلها كاتب يصاب بانفصام في الشخصية ويخرج منه كاتب آخر كان يعيش بداخله ويكتب قصصا بذيئة. "النافذة السرية" بطلها كاتب يتخيل أن هناك شخص يتهمه بأنه يسرق قصصه منه. في "البريق" يصاب الكاتب جاك نيكلسون بالجنون ويظل عدة أشهر لا يكتب سوى جملة واحدة يكررها آلاف المرات على الورق. في "ميزري" كاتب يقع في براثن قارئة مجنونة مخلصة جدا له ولقصصه. ستيفن كينج نفسه يكتب أحيانا باسم ريتشارد باكمان، ويبدو أنه في طريقه لملاقاة مصير بطل قصة النصف المظلم! وفي قصة أخرى بعنوان "في فم الجنون" لجون كاربنتر - منافس كينج العتيد - يتحول العالم الروائي لأحد الكتاب إلى واقع حتى أنه يطغى على العالم الحقيقي.

الكاتب فعلا معرض لكل هذه الأنواع من الرعب، لأنه شخص شارد طوال الوقت، يعيش في عوالم من صنعه الخاص، أي أنه قريب فعلا من عالم الشخص المصاب بالشيزوفرينيا. ويقول كينج أن الكتابة نوع من الوسواس القهري، وأن من حسن حظه أن وسواسه القهري من نوع قابل للبيع، بينما هناك رجال ونساء يملئون المصحات العقلية ليسوا بهذا الحظ الحسن.

لكن الكتابة في الغرب تستحق هذه المعاناة، لأن الكتابة عندهم تثمر أموالا ومجدا وشهرة، أما عندنا فسيظل مصير الكاتب هو السجن أو الاكتئاب أو الإفلاس!

"هذه" التي سهرتني طوال الليل!

لي صديق يعمل مصححا لغويا بإحدى المجلات، دائما ما يشتكى ويسهب في وصف معاناته في تصحيح المشاركات والرسائل الواردة إلى المجلة قبل نشرها. كنت أعتقد أنه يبالغ كثيرا في شكاويه المستمرة هذه، وكنت أعتقد أنني "شاطر" في النحو، وأنني لا أخطئ إلا في بعض التركيبات اللغوية المعقدة، وكنت أعتقد الكثير من الأشياء، إلا أن كل هذه الاعتقادات تحطمت عندما جلست بجانبه لنصف ساعة وهو يعمل!

هذا رجل يتعذب فعلا، ومن المثير للأحاسيس الضمائرية أننا "نحن" من نعذبه! هناك كميات هائلة من الأخطاء النحوية والإملائية في ما يكتب الناس. إن علم النحو في خطر حقيقي في هذا البلد!

هناك فوضى كاملة في الهمزات. لا أحد يعرف الفرق بين همزتي الوصل والقطع. وهناك خلط رهيب بين الياء والألف المقصورة، وبين الزاي والذال، وبين الهاء والتاء المربوطة. ناهيك عن مشاكل الإعراب البسيطة التي يخطئ فيها الجميع. وهناك مشاكل خاصة بالكتابة على الكيبورد لا تظهر أثناء الكتابة باليد. مثلا، لا يجوز أن تضع مسافة بعد واو العطف، وإنما يجب أن

تلصقها بالكلمة التي بعدها، وذلك حتى لا يكون هناك سطر منتهٍ بواو عطف دون شيء بعدها. يجب أيضا عدم وضع مسافة قبل الفاصلة والنقطة وعلامتيّ الاستفهام والتعجب، وإنما تأتى المسافة بعدها وليس قبلها. وهناك تلك الأخطاء التي تحدث عند الكتابة بسرعة فينعكس ترتيب حرفين أو ينضغط الزر الخاص بحرف مجاور للحرف المطلوب، وهى مشكلة شائعة جدا حتى أن برنامج المصحح اللغوي ببرنامج الوورد يضع في حسابه احتمالات أن تكون الحروف المجاورة هي المقصودة عند التصحيح. يجب أيضا أن نقوم بتقسيم الجمل الطويلة بالفواصل والنقاط، وتقسيم الكلام إلى فقرات حتى لا يصبح الكلام مثل كتل صماء ملقاة فوق بعضها. لكن مشاكل بسيطة كهذه يجب أن نعتني بها بأنفسنا عند المراجعة، ولا نتركها للمصححين اللغويين الذين يجب أن ندخر لهم القضايا النحوية الكبرى!

قال لي صديقي عن خطأ أمارسه بإصرار عند الكتابة على الكمبيوتر. أنني أكتب كلمة "هذه" هكذا: "هذة"، بالتاء المربوطة بدلا من الهاء. ورغم أنني دائما ما أراجع على ما أكتب، إلا أنني لم أنتبه لهذا الخطأ أبدا، وظللت مستمرا في ممارسته بنجاح! عندما عدت إلى المترل، أخذت أراجع ما أكتب ووجدت أن هذا الخطأ قد تكرر في كل شيء كتبته، وأنني أكرره منذ أن هجرت الأقلام والأوراق منذ أعوام. وقد استغرق مني هذا الأمر ليلة لأقوم بتصحيح كل "هذه" أجدها في أي شيء كتبته. ولم أكن أتصور

أن كلمة "هذه" هذه لها كل الأهمية هذه فى لغتنا هذه! فقد وجدتها تتكرر في كل مقال أو قصة كتبتها، حتى أنني وجدت اثنتين وأربعين منها في إحدى القصص!

وأعتقد أنني يجب أن انتهز هذه الفرصة لأوجه الشكر لصديقي بيل جيتس، ولمايكروسوفت التي جعلت في الإمكان أن أغيّر ٤٢ "هذه" بضغطة زر واحدة عن طريق الزر العجيب المسمى Replace. وقد كان من الممكن في الماضي أن أقضي سنة كاملة أعيد القراءة والبحث عن الكلمات لأصححها بالقلم الكورريكتور ثم أنتظر ليجف لأكتب الكلمة الصحيحة فوقها بالقلم الحبر. ألف شكر يا بيل!

أرجوكم راجعوا كشاكيل النحو الخاصة بالثانوية العامة، ستجدونها في مكان ما أسفل السرير، أو أعلى الدولاب، أو تحت طاولة التليفون، أو في السندرة، أو في سبت الغسيل، أو تحت خزين البصل في البلكونة، أو في علبة كحك العيد المتحجِّر الخاص بالعام الماضي، أو عند بائع الترمس على الناصية، أو في السطوح في عشة الفراخ أو جرار الأرانب، أو في المنور أسفل الماسورة الكبيرة، أو في غرفة البواب تحت سرير العيال. فقط ابحثوا قليلا ولا تعذبوا المُصحّحين اللغويّين!

يا داهية دقيّ!

لا أحب أن أرى المصيبة وهي تحدث. أحب أن أغمض عينيّ حتى يمر الأمر. لا يهم هل مر بسلام أم لا. المهم ألا أراه يحدث، وأفضل أيضا ألا أعرف أنه حدث.

وبجانب هذا، فأنا على قدر من الكسل – قدر كبير في الحقيقة – يدفعني إلى عدم اتخاذ أي فعل إيجابي قد يفيد في اتقاء المصيبة. فرغم أنني أعرف أن الشغالة التي تأتي يوم الثلاثاء تلقي بالماء (جرادلا جرادلا) على الأرض، ومع ذلك فلا حماس عندي لأرفع وصلات وأسلاك الكمبيوتر عن الأرض، لأن عملية فكها وإعادة تركيبها تستغرق أكثر قليلا من خمس دقائق! ولهذا فأنا أفضل أن ألا أكون في البيت في ذلك اليوم حتى لا أرى ما سيحدث، وحتى ألقي اللوم فيما بعد على شخص آخر غيري كان موجودا ولم يبذل بعض الجهد.

نفس الكسل هو الذي يمنعني من التأكد من مستوى ماء الرادياتير قبل أن أتحرك بالسيارة، ومن ناحية أخرى فأنا لا أحب أن ألوّث يديّ وأنا لازلت في بداية اليوم، ومادام هناك من يشاركني في استعمال السيارة فليهتم هو بهذه الأشياء. وهو سلوك سيئ لابد من الاعتراف به، لكن المرء لا يتعظ إلا عندما

يرى خيوطا من الدخان الأبيض تتصاعد من مقدمة السيارة، وهو دخان يختلف عن الهباب الأسود الذي يتصاعد من البوتاجاز بعد أن تنصهر اليد البلاستيكية لبراد الشاي عندما أتركه على النار وأذهب لمتابعة المسلسل. وهنا يجب أن أفتح النافذة للتهوية، هذه النافذة إذا لم يكن هناك أحد ليغلقها بعد ذلك ربما تظل مفتوحة لعدة أيام!

إن الكسل مشكلة عويصة، وحلها مشكلة "أعوص"! فأنا مثلا يمكنني أن أتناول الطعام باردا حتى لا أتجشم عناء تسخينه، ويمكنني الاستغناء عن تناول الغداء حتى لا أضطر للنزول لشراء بعض الطعام. وكم من مدن فتحها الغزاة لأن أهلها كسلوا عن بناء الأسوار. إذا كان ألدرين قد تحمس قليلا في خروجه من المركبة أبوللو لصار هو أول إنسان يخطو على سطح القمر وليس أرمسترونج! وإذا كان كريستوفر كولومبوس قد اجتهد قليلا لعرف أنه اكتشف قارة جديدة، وهو الذي كان يظن أنه في مجموعة من الجزر غرب القارة الهندية، ولعرفنا أمريكا باسم كولومبيا!

بقليل من الجهد يمكنك أن تتقي المصيبة قبل أن تحدث، وأن تصحح مسار كثير من الأشياء، لكنك طبعا لن تفعل لأنك كسول مثلي!

فتفوتة

بمائة وخمسة وثمانون جنيها.. وخمسين قرشا!

من الغريب والمثير للعجب أن تفعل بي فتفوتة صغيرة كل هذا. بداية هي ليست فتفوتة بل أصغر من هذا بكثير، يجب أن تقترب منها جدا لتراها. هي شيء أشبه بالنقطة، أو باستعمال صيغة التصغير "نُقَيْطة". لكن نقطة اسم مناسب لأنها أصابتني بنقطة أيضا!

كنت عائدا من العمل وعلى وشك فتح باب البيت حين دخلت هذه الترابة/ النقطة/ الفتفوفة في عيني. شيء عادي ويحدث كثيرا في الأيام المتربة التي أصبحت تمثل معظم أيام العام في بلادنا، لكن غير العادي أن أفشل تماما في إخراجها، وعادة ما يتكفل بعض الدعك والتفعيص في العين لتخرج الفتفوتة بعد أن تترك أثرها المزعج من احمرار ودموع لفترة ما. هذه المرة لم تخرج الفتفوتة، وقد ساهم طرفها المدبب الذي يحتك بجفني من الداخل في جعل الحياة لا تطاق كلما حركت عيني. ثلاث ساعات وأنا أحاول، جربت القطرات أولا، ثم فتحت عيني في فنجان مملوء بمحلول ملحي Saline، ثم استعملت مراهم عين لتلتقط المادة الدهنية للمرهم الجسم الغريب، وهي النصيحة التي دائما

ما أصفها للناس في الحالات المماثلة، وهي تفلح دائما فيما عدا حالة صاحب النصيحة!

عرفت في تلك الساعات ما هي أهمية العين بالضبط لأن أنشطة حياتي كلها توقفت! اتصلت بوالد أحد أصدقائي، طبيب عيون على المعاش، فقال لي أن أحضر إليه في البيت ليصبغ العين بصبغة معينة ليظهر إن كان ما أتألم منه جسم موجود فعلا أو مجرد خدش في القرنية، وإذا كان هناك جسم ما سيقوم بإعطائي قطرة مخدرة ثم يمسح العين بقطنة على عود كبريت ليخرج! يا نهار أسود! هنا قررت الذهاب إلى العيادة، خاصة وأنا أعرف أن والد صديقى لا يرى جيدا!

في العيادة، وبعد الانتظار الممل المعتاد، قال الدكتور بسعادة بالغة: " Foreign body جميل وبُنّي! دي حتة حديدة مصديّة!"

أحضر الدكتور سرنجة أنسولين ليزيل بها الجسم الغريب الملتصق بالقرنية، بعد أن تفضل بإخباري أنني مهما حاولت وفعصت عيني تفعيصا لن أتمكن أبدا من إخراجه لأنه شبه مغروز في القرنية. وضع لي بضع قطرات من قطرة مخدرة. ضع ذقنك هنا. الآن لا تتحرك أبدا. لا تحرك رأسك. لا تحرك جفنك. لا تحرك عينك لأن سن السرنجة قادم ويخترق الآن القرنية!

حاولت أن أهدئ من أعصابي وأن أنسى أين أنا وأفكر في أشياء أخرى كي أتمالك نفسي أمام الذؤابة الحادة التي تقترب

من قرنيتي. عرفت اليوم أنني استفدت فعلا من كل أفلام الرعب المعوي التي شاهدتها قبلا، ثانيتين من الجَلَد وخرجت الفتفوتة!

عليّ الآن استخدام بعض القطرات لمساعدة ذلك الجرح الذي صنعته الذؤابة في القرنية. ورأيت تلك الفتفوتة الحقيرة. رأيتها بالكاد بعد أن اقتربت بوجهي من الطاولة لأتمكن من رؤيتها. كم كلفتني هذه الفتفوتة؟ لا بد أنكم عرفتم من العنوان طبعا، مائة جنيه كشف، وثمانون لاستخراجها، وخمسة جنيهات ونصف مستهلكات، مما يجعلها أغلى فتفوتة في التاريخ!

شيء لا يصدقه عقل طبعا أن تكلفني ترابة صغيرة في الجو كل هذا. حاجة تجنن الكتكوت فعلا. لكن وبينما ألعن الأطباء السفاحين والعيادات المستغلة، أخذت أفكّر كيف سيكون الموقف إذا حدث هذا منذ مائة عام مثلا قبل ظهور الطب بشكله الحالي؟ ماذا كان يفعل الناس وقتذاك في مشاكل غريبة كهذه؟ وحمدت الله أنني ولدت في القرن العشرين حتى لو كلفتني فتفوتة كهذه مبلغا كهذا، لأنني لم أتصور أن أقضي باقي حياتي بفتفوتة على القرنية!

كراكيب

١. كركب ويكركب وتكركب وكركبة. كركب: أي جمع الأشياء فوق بعضها فهي كراكيب. ويقال عجوز كركوبة أي كبيرة وطاعنة في السن فتحسب مع الكراكيب. أما كركبة البطن فهى من علامات الإسهال.

٢. اصعد إلى سطح بيتك وقل لي ماذا ترى. تطلّع من السطح إلى الأسطح المجاورة وتأمّل الفوضى العارمة التي لا تختلف كثيرا عما هو عليه سطح بيتك: طوب وركش وكراتين وعلب فارغة وملآنة، وأحيانا عشش للدجاج والبط والإوز والأرانب. لذلك من المخجل أن ترى صورة لأية مدينة مصرية من الجو.

٣. لدينا – نحن المصريين– ولع خاص بالكراكيب. نحتفظ بها فى السندرة والبلكونات وفى الأركان وأسفل الأسرة وفوق الدواليب. رغم أن كلها أشياء عديمة الفائدة لا نستعملها وفى الغالب لن نستعملها أبدا، لكننا نخاف أن نرميها، ننظر إليها كشيء مُسَلم به، جزء أصيل من المترل لا يجوز المساس به، وكل شخص في البيت له كراكيبه الخاصة التي يساهم بها فى إثراء الشكل الكراكيبي العام، والتي إذا فقدت بأي شكل من

الأشكال فإنه يهدد بحدوث مذبحة. (كان المصري القديم يموت وتدفن معه كراكيبه الخاصة، حتى في القبر لا يستريح إلا والكراكيب حوله!).

٤. هل فكرت يوما في التخلص من كراكيبك وأوراقك القديمة المصفرة، مددت يدك ثم شعرت بتلك الاختلاجة في القلب وارتعاشة الأصابع ثم تراجعت ولم تقدر، وقررت أن تؤجل هذا الموضوع للصيف القادم؟ وفى الصيف القادم تدرك أن التخلص من الأشياء القديمة يحتاج إلى إرادة فولاذية وقلب جامد لا يتوفران لديك.

٥. لا تفسير لهذا الأمر سوى أننا نعشق القديم بكل أنواعه، والثبات بكل أشكاله. يموت المرء منا في نفس البيت الذي ولد فيه، ويشعر براحة إذا نام على السرير الذي كان ينام عليه جده. ولا دليل على ذلك أفضل من أننا – في كل مرة – نشاهد (إسماعيل ياسين في الأسطول) رغم أنه يعرض كل أسبوع!

يوميات شهم

في بلد لا تساعد على أن تكون كذلك!

ماذا يمكن أن يحدث لك إذا ذهبت لتوصيل صديق تزوج حديثا من الفندق الذي تزوج فيه إلى المطار، حيث سيسافر لقضاء شهر العسل (الذي نزل عليه التخفيض في أيامنا المباركة هذه فأصبح أسبوع عسل) في مدينة تدعى شرم الشيخ؟

حسنا، في البداية عليك أن تذهب إلى الفندق، وكي تدخل من بوابة الفندق بالسيارة فإن الواقف على الباب يأخذ منك رخصة القيادة ورخصة السيارة ليحتجزهما عنده إلى أن تَخرُج، وكأنك داخل إلى معتقل وليس فندق، وعندما تدخل تفاجأ بحواجز أسمنتية تملأ الطريق إلى الفندق عليك أن تدور حولها بالسيارة في شكل زجزاج وكأنك عدت إلى امتحان القيادة من جديد.

تركن السيارة قريبا من باب الفندق حتى يتسنّى لك وضع الحقائب فيها فيأتي لك عسكري يطلب منك الانصراف بالسيارة من المكان فتخبره أنك ستأخذ شخصا وتنصرف حالا. بعد دقيقة يأتي ليقول نفس الكلام فتكرر أنت نفس الكلام، وتفكر بينك

وبين نفسك عن السبب الوجيه الذي يجعله مصرا على ألا تركن هنا، فلا تجد سببا منطقيا سوى أن شكل سيارتك لا يعجبه لأنها موديل ١٩٧٥!

تأخذ صديقك وعروسه وتنصرف لتأخذ رخصك وتدفع رسوم الانتظار رغم أنك لم تنتظر.

تذهب إلى المطار، وعند بوابة المطار الخارجية يطلب منك حارس البوابة أن ترجع للخلف وتدخل من بوابة أخرى من البوابات الثماني المتجاورة لأنهم على الأرجح لا يشغّلون سوى ماكينة واحدة من الثمانية توفيرا للنفقات. ترجِع إلى الخلف وتدخل من البوابة التي أشار إليها وتأخذ كارتا من الماكينة يحتوي على وقت الدخول لأنه فيما يبدو أن كل وقت زيادة تستغرقه في تقبيل صديقك بالداخل سيكلّفك مالا أكثر!

تركِن السيارة بالقرب من بوابة الصالة لإنزال الحقائب، ولا تجد حمالا لحمل الحقائب من الذين تراهم في الأفلام فتضطر إلى حملها بنفسك وتدعو – في سرّك طبعا – على صديقك الذي يبدو أنه أخذ البيت كله معه وهو مسافر. الآن يأتي لك عسكري يقول لك أن تنصرف بالسيارة من المكان فتقول له أنك ستغور في ستين داهية حالا. وعلى باب الصالة الخارجي يمنعك عسكري آخر من الدخول لأنك لست مسافرا فيتشاجر معه صديقك فيسمح لك بالدخول! في الداخل تودّع الصديق وهو يمر من

بوابة التفتيش لكن العامل الذي يضع الحقائب على "سير" الماكينة "يهبد" الحقيبة فتتمزق إلى نصفين ويسقط كل ما فيها على الأرض. وهنا تجري بحثا عن شيء ما لربط الشنطة وإنقاذ الموقف فلا تجد سوى محل في صالة السفر الأخرى تشتري منه بكرة شريط لاصق حقيرة بثمانية جنيهات! تأخذها صاغرا وتعود بها إلى صديقك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. تخرج من الصالة ليتشاجر معك العسكري الأول الذي كان قد طلب منك ألا تركن السيارة في المكان، وكأنك الذي عطلت السيارات والطائرات بينما لا يوجد أحد في المطار أساسا في هذا الوقت الصباحي مع ملاحظة أنك من الأساس لم تركن في مكان يعطّل المرور.

تخرج من بوابة المطار وتدفع خمسة جنيهات نظير ربع ساعة قضيتها في الداخل. تنصرف إلى منزلك وأنت سعيد وتقرر ألا تكون شهما بعد الآن!

لا جديد تحت الشمس!

عندما كنت صغيرا، كان لدي هاجس المشي على بلاطة وترك الأخرى حين كنت أسير على الرصيف. بمعنى أنه إذا كان الرصيف مبلطا بنظام بلاطة خضراء ثم أخرى حمراء فإنني كنت أختار لونا واحدا أسير عليه إلى أن أصل. وإذا كان الرصيف مبلطا بلون واحد كنت أتخيل أنه مقسم إلى لونين بنفس الطريقة وأختار لونا أسير عليه.

لا أعرف الآن إن كان هذا له علاقة بشيء ما في الطب النفسي أم أنه مجرد نوع من اللعب وتزجية الوقت، فقد شفيت من هذا الهاجس الغريب الآن، إلا أن ما أسعدني وأدهشني هو أنني وجدت هاجسي عندما قرأت رواية كائن منتصف الليل لجورج ديهايمل، فبطل الرواية يعاني من نفس الهاجس بالضبط وهواجس أخرى كنت أفكر فيها أحيانا وأنا صغير.

وبعد أن درسنا في العلوم أن المادة تتكون من ذرات والذرات تتكون من أنوية تدور حولها الإلكترونات، بدا لي هذا الأمر شبيها جدا بأنظمة الكواكب التي تدور حول الشموس. هل يمكن أن تكون هناك كائنات حية تعيش على الإلكترونات التي تمثل الكواكب بالنسبة لها، بينما تمثل الأنوية الشموس التي تدور

حولها هذه الكواكب؟ وهل يمكن أن تكون كواكبنا التي نعيش عليها مجرد إلكترونات تدور حول أنوية/ شموس تكوّن مادة أخرى أكبر حجما بما لا يمكن تخيله، وهذه المادة بدورها تمثل مادة كواكب وأنظمة شمسية هائلة لا يمكن تخيلها؟

ثم اندهشت أكثر عندما قرأت لكاتب الخيال العلمي آرثر سي كلارك أن هذه الفكرة راودته كثيرا وهو صغير، ثم عندما كبر أفرد لها فصلا في أحد كتبه يناقش فيه بالتفصيل إمكانية أن تكون هذه الفرضية صحيحة.

كثيرا أيضا ما أفكر في فكرة لقصة، وتظل في رأسي لفترة ما، ثم أفاجأ بالقصة وقد كتبها شخص آخر! نوع غريب من توارد الأفكار الذي يحدث على مسافات متباعدة وعبر الزمن أيضا! فيحدث كثيرا أن يتوصّل عالمين يعيشان في مكانين مختلفين إلى اختراع واحد في وقت مزامن دون أن يعرف أحدهما شيئا عن الآخر، ويحدث أكثر أن نكتشف أن نظرياتنا الحديثة في السياسة والفلسفة والعلوم قد راودت أذهان علماء العصور القديمة ومذكورة في كتبهم التراثية.

يبدو أن السبب هو أن عقولنا مصممة للتفكير بنفس الطريقة، وكما تقول القاعدة العلمية أن البدايات المتشابهة تؤدي إلى نتائج متشابهة، فإن عقولنا تتوصل إلى نفس الأفكار إذا أعطيت نفس المعطيات.

لا جديد تحت الشمس. كل ما فكرنا فيه أو فعلناه فكر فيه الأقدمون. الأفلام تقتبس من بعضها والقصص تستنسخ نفس التيمات والموضات تتكرر بصورة دورية. لذلك أشك كثيرا في قول أبي العلاء المعري:

وإني وإن كنت أخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

لا أيها الشاعر، لا يوجد جديد. فحتى تصميمات المركبات الفضائية وملابس رواد الفضاء وجدناها على جدران كهوف تاسيلي التي تعود إلى آلاف السنين، ومعظم معارفنا الحديثة عرفها القدماء بشكل ما.

وحتى فكرة هذا المقال ليست جديدة أبدا، فقد كتبت مرات عديدة من قبل، وكما يقول الجامعة بن داود: "ما كان فهو ما يكون وما صُنع فهو الذي يُصنع فليس تحت الشمس جديد".

فعلا لا جديد تحت الشمس. لذا أتوقف عن الكتابة وأضع نقطة في نهاية السطر.

التوعية والتعمية فى نشرات الدواء!

فى الفترة الماضية، وكردّ فعل لبعض الشكاوى، كتبت بعض الجرائد عن إشكالية الأدوية التى تتعمد بعض الشركات أن تجعل نشرها باللغة الإنجليزية فقط، حتى لا يعرف المرضى الآثار الجانبية للدواء.

فى الحقيقة، فبالإضافة إلى هذا، هناك إشكاليّة أخرى هى أن بعض الشركات لا تكتب " كل" الأعراض الجانبية فى النشرة العربية، بينما تجدها كاملة فى النشرة الإنجليزية. أحد أدوية التخسيس مثلاً – لا داعى لذكر اسمه – نجد فى نشرته العربية أن الدواء له خمسة أعراض جانبية، بينما فى النشرة الإنجليزية فى ظهر الورقة تصل إلى ثلاثة عشر! ذَكَرْتُ هذه الملحوظة لمندوب الشركة، وبعد شهرين أصبحت النشرة بالإنجليزية فقط!

كثير من الناس يقومون بإرجاع الدواء إلى الصيدلية بعد أن يقرءوا النشرة على رواقة ويعرفوا الآثار الجانبية، ولا يصرحون بأهم يخافون من الآثار الجانبية – رغم أن هذا حقهم – وإنما يقولون للصيدلى: " أصل لقيت عندى زيّه في البيت" أو "أصل أنا عندى حساسية!"

وهناك مريض يقرأ فى النشرة مثلاً أن الدواء يسبب زغللة فى العين، وبمجرد أن يبتلع القرص يصرخ: "إلحقونى! مش شايف

قصادى!". هذه الظاهرة تسمى بظاهرة البلاسيبو Placebo. وفى الأبحاث التى تسبق نزول الدواء إلى الأسواق يعطى نصف المتطوعين أقراصاً فارغة من المادة الفعالة تحتوى على السكر أو النشا فقط، فإذا قيل لهؤلاء المتطوعين أن هذا القرص يعالج الصداع فإن عدداً لا بأس به منهم يشعر بتحسن بالفعل، وهذا العدد يجب طرحه من عدد المتطوعين الذين أخذوا القرص الذى يحتوى على المادة الفعالة وحصلوا على تحسن حقيقي، لنصل إلى نتيجة صحيحة فى النهاية، وبالمثل هناك مرضى يشعرون بالأعراض الجانبية بمجرد قراءة النشرة. ولأجل هؤلاء تتجه شركات الأدوية إلى كتابة النشرة بالإنجليزية أو عدم كتابة الأعراض الجانبية بالعربية، لكن هذا ليس حلاً.

فهناك أعراض جانبية شهيرة لبعض الأدوية لابد من تنبيه المريض إليها قبل أن يأخذ الدواء. مثلاً هناك أدوية تجعل لون البول أحمر، فإذا لم يُنَبّه المريض إلى هذا فإنّه من الممكن أن يصاب بالذعر. أدوية أخرى لا يجب أن يتعاطاها مرضى القرحة أو ارتفاع ضغط الدم، وهى وظيفة الصيدلى أن ينبه المريض إلىٰ هذه الأشياء، وأن يفك الاشتباك بين الروشتات المختلفة للأطباء للمريض الواحد. لهذا يُفَضّل أن يتعامل المريض مع صيدلى واحد يعرف حالة المريض والأدوية التى يتعاطاها، فليست مهمة الصيدلى صرف الدواء "وخلاص".

والحقيقة أن معظم الأعراض الجانبية التى تكتب فى نشرات الأدوية نادرة الحدوث، ولا تحدث إلا على مستوى الأبحاث لأن المتطوّعين يتناولون جرعات أعلى من المعتاد، وكثير منها لا يظهر إلا عند تعاطى الدواء لفترات طويلة، إلا أن الشركات تكتبها فى النشرات مع هذا لهدف أصغر هو مراعاة الدقة العلمية، ولهدف أكبر هو تجنب الملاحقات القضائية التى يقوم بها المرضى فى الغرب ضد شركات الأدوية.

لذا فإن حل هذه المشكلة فى رأيي هو التفرقة بين الأعراض الجانبية الشائعة التى يجب أن يعيها المريض، وبين الأعراض نادرة الحدوث التى يجب ألا يلتفت إليها، وذكر كل نوع على حدة فى نشرة الدواء بالعربية والإنجليزية. فالحل يكمن فى الإرشاد والتوعية، وليس الإخفاء والتعمية.

شئ من الفراخ.. شئ من الخوف !

تمتلئ عيادات الأطباء في أيامنا المباركة هذه بشباب حديث الزواج يعانى من مشكلات في الإنجاب، شباب لم يكن يشكو من أي شئ من قبل. وكثير من الزوجات الشابات يعانين من وجود أكياس على المبيض. كما تزايد عدد الفتيات الصغيرات اللواتي يطلبن المشورة لأنهن يشتكين من تأخر الدورة أو انقطاعها أو عدم انتظامها، وأصبحنا نسمع كثيراً عن انتشار الأورام، الحميدة أحياناً والخبيثة أحياناً أخرى، بشكل لم يسبق له مثيل بين المصريين، خاصة أورام الرحم لدى السيدات من سن الخامسة والأربعين، حين يكتشفن في ما يشبه المأساة وجود شئ مثل البرتقالة في بطونهن، تلك البرتقالة التى تتحول إلى بطيخة إذا تم إهمالها. العامل المشترك بين كل هذه الحالات هو الإكثار من أكل الفراخ البيضاء، وهو أمر طبيعي في ظل الارتفاع المطرد في أسعار اللحوم الحمراء.

وكما هو معروف فإن هذه الفراخ يتم تسميتها وزيادة وزنها بإضافة الهرمونات الأنثوية إلى العلف، مما يسبب كل هذه الأمراض لدى المصريين. وهى جريمة بكل المقاييس، ويمكن اعتبارها جريمة قتل لتسببها في الأورام السرطانية المميتة.

ودائما هناك أزمة في الصيدليات بسبب عدم توافر حبوب منع الحمل المدعمة، حيث تختفي الكثير من أنواعها، ربما بسبب

قيام مربو الدواجن بسحبها بكميات كبيرة. هذه الهرمونات تتسبب في ظاهرة أخرى لدى الرجال هى تضخم الثدي **Gynocomastia**. هذه الظاهرة لها سبب آخر بعيداً عن موضوع الدواجن، حيث تلاحظ لدى بعض المتردّدين على صالات الجيمتريوم الذين يستعملون بعض الأنواع القديمة من حقن الهرمونات الذكرية بغرض "نفخ" العضلات، فالغريب أن الهرمون الأنثوي بروجستيرون شديد الشبه في التركيب الكيميائى بالهرمون الذكرى تستوستيرون، لذلك فإن جزءاً كبيراً من التستوستيرون الذى يتعاطونه عن طريق الحقن يتحول داخل الجسم إلى بروجستيرون مما يؤدى إلى تضخم الثدي بهذا الشكل!

والمعروف أن البروجستيرون يؤدى إلى حبس الماء والأملاح في الجسم، وهذا هو سر زيادة وزن الدجاج، فالسيدات اللواتي يستعملن أقراص منع الحمل المحتوية على البروجستيرون تمتلئ أجسادهن بشكل ملحوظ.

والنصيحة الوحيدة التي يمكن توجيهها هنا – في ظل التقاعس الحكومى عن مواجهة الموضوع – هو نزع جلد الدجاج قبل أكله، حيث أن أعلى تركيز للهرمونات يكون في الجزء الدهني من الدجاجة المتمثل في جلدها، مع الامتناع عن شرب مرق الدجاج.

لقد كتب في هذا الموضوع صحفيون وأدباء وأطباء على مدى سنوات، ولم نر أية استجابة حكومية من أي نوع، رغم أنه

شئ يمس ليس صحة المصريين فقط، بل حياتهم ذاتها وخواصهم الشكلية ونسلهم.



في الفنون والجنون

امرأة جميلة واحدة للقرن الجديد!

كنت أشاهد الفيديو كليب الخاص بأغنية تونى براكستون Spanish Guitar في التليفزيون، عندما تساءلت بيني وبين نفسي :"أنا شفت الخِلقة دي فين قبل كده؟". عندما دققت النظر اكتشفت أنني أمام نسخة سمراء من نانسى عجرم.

في البداية يجب أن أقول أن تونى براكستون لم يكن شكلها هكذا فيما مضى، كانت شكلا مختلفا تماما، وتشهد على هذا أغانيها المصورة القديمة. لم يكن لها هذه الذقن المدببة والخدود المسحوبة والوجه المثلث. نانسى عجرم أيضا لم يكن لها هذا الوجه قبل عمليات التجميل، وصورها القديمة موجودة.

كيف تشابهت المرأتان إلى هذا الحد؟ كلتاهما أجرت عمليات للتجميل خرجتا منها بشكل واحد. إذن فعمليات التجميل هذه تضع مقاييس موحدة للمرأة الجميلة. يأتي أناس يدعون أنهم خبراء في الجمال فيرسمون ذقنا ويقولون هكذا يجب أن تكون الذقن الجميلة، وينحتون أنفا ويكتبون أسفله: هذا هو الأنف المثالي، ويحيكون شفتين ويصيحون: هكذا يجب أن تكون الشفاه! وعلى كل امرأة تحترم نفسها أن تبذل جهدها لتظهر بهذا الشكل. فإذا توفرت الإمكانيات المادية والظروف المواتية لكل

نساء العالم، فسنستيقظ ذات يوم لنرى امرأة واحدة تسير في الشارع وحولها نسخها الكربونية!

رغم أن هذا الأمر ليس من طبيعة المرأة، فلا امرأة تحب أن تشبه أخرى بل تبذل قصارى جهدها لتصبح أكثر اختلافا، وفي الماضي، في الأيام الذهبية للترزي،كانت تحدث مذابح بين العائلات الأرستقراطية إذا حدث وتم سرقة تصميمات فستان جديد قبل أن تظهر به السيدة في الحفلات،فكانت تحدث مؤامرات لتجنيد خادمات السراي لسرقة التصميمات الجديدة، أو بمعنى آخر سرقة (تميز) و(اختلاف) السيدة. ولازالت بيوت الأزياء الراقية حتى الآن تقدم تصميمات لا يصنع منها سوى نسخة واحدة تصنع حسب الطلب مقابل أسعار فلكية.

اختلف الأمر الآن بظهور المرأة العاملة في الشارع، وظهور خطوط الإنتاج في المصانع، التي تصنع آلاف النسخ من التصميم الواحد، ثم اختفت الأحجام وصار المقاس موحدا، ووضعت مقاييس مثالية لكل شيء، مقاييس للخصر والصدر وأشكال معينة للأنف والوجه، ولون فاتح للبشرة على المرأة أن تكافح لاكتسابه حتى تكسب فرصة العمل والعريس المناسب كما تعلمها الإعلانات.

لكننا لازلنا على الطريق، فكما تتنبأ بعض قصص الخيال العلمي، فإنه بعد تطور تقنيات الاستنساخ البشرى، لن يصبح

هناك سوى رجل واحد وامرأة واحدة بمواصفات مثالية معينة تنتج منهما النسخ في المعامل، كما ستكون هناك سلالات بشرية بمواصفات جسدية معينة مخصصة للإنتاج والعمل، وسلالات أخرى لباقي الأغراض.

وإلى أن يأتي هذا اليوم فإنني سأغلق التليفزيون وأكتفي بالنظر من النافذة!

مش مهم الحفلة، المهم الجمهور!

حضرت حفلة محمد منير في دار الأوبرا في رأس السنة الماضي،وحضرت حفلة عمر خيرت في شارع بغداد بمناسبة مئوية مصر الجديدة.

بداية أقول أن كِلا الفنانين يقدم موسيقى راقية ورائعة، وكلاّ منهما له مكانة خاصة وجمهور كبير، وكلاّ منهما مبدع في مجاله، إلا أن حضور الحفلات، أو رؤية الفنان رؤي العين يؤدي في العادة إلى تغيير صورة الفنان في عين عشاقه. كِلا الفنانين كان رائعا، لكن، حسنا، لم يكن كِلا الجمهورَيْن كذلك!

في حفلة محمد منير كان الجمهور "ما يشرّفش". الطلبة في مدرستي الثانوية الحكومية كانوا أرقى من هذا بكثير. تدافع وشجار وألفاظ بذيئة طوال الوقت، هناك أشخاص سخفاء يحاولون باستمرار اختراق الصفوف ليحصلوا على مكان أمام المسرح مباشرة، بينما يعترض الواقفون طوال الوقت على هذا، ويلتصقون معا مكونين حواجز تمنع عبور هؤلاء المتسللين، وهنا ينشأ الشجار والتدافع والضرب بالأيدي الذي قد ينالك منه جانب، ويتطاير السباب في كل مكان. هناك أيضا السجائر التي كان ينفثها الجميع، ونظرا لأن الصفوف كلها ملتصقة تماما،

فإنك تظل قلقا طوال الوقت من أن يحرق واحد ممن يقفون خلفك ملابسك بسيجارته، ولابد لهذا أن يحدث في لحظة ما، ولا تحاول عندها أن تبدأ عتابا لأن نظرات الوجوه لا تشي أبدا بأن التعامل سيكون محترما. ناهيك عن انتشار السجائر الملفوفة التي تظل تنتقل من فم لفم بين مجموعات من الأشخاص ذوي العيون الحمراء المدمعة. وقد تذكرت وقتها كيف أن واحدا من جمهور محمد منير قد هجم عليه وألقى به أرضا أمام الكاميرات على الهواء في إحدى الحفلات.

منذ حضوري لتلك الحفلة صار هناك ارتباط شَرطِيّ في عقلي بين أغاني محمد منير ورائحة العرق!

على العكس من ذلك كان جمهور حفلة عمر خيرت راقيا جدا، بالرغم من أن حفلة محمد منير كانت بتذكرة مدفوعة، بينما حفلة عمر خيرت كانت مجانية. إلا أن الفارق بين الجمهورين كان هائلا. كان كل واحد مكتفيا بالمكان الذي يقف فيه، دون تدافع أو محاولات للوصول إلى الأمام، أو التصاقات حميمة، أو شتائم أو مضايقات، وقد اندمجت بعض الفتيات في الرقص مع الموسيقى دون أن يضايقهن أحد. وهكذا تكون ارتباط شَرَطِي آخر بين موسيقى عمر خيرت والحالة النفسية الرائعة التي تكونت لديّ وقتذاك.

بالطبع ليس أي من الفنانَين مسئولا عن تصرفات جمهوره، كما أنه لا يوجد شيء فيما أدري يمكن فعله لتحسين سلوك

جمهور ما، وفي الستينات قرر أعضاء فريق البيتلز أن يتوقفوا عن تقديم الحفلات الحية نهائيا لأن الجمهور كان يصرخ صراخا هستيريا كلما ظهروا على المسرح، وقد كان هذا يشتت تركيزهم في الغناء والعزف. أنا لا أطالب أحدا بالتوقف عن تقديم الحفلات، لكنني أيضا لست مسئولا عن الارتباطات الشَّرطِيّة التي تتكون لديّ بعد حضور هذه الحفلات!

حكايتي مع المسرح التجريبي!

أول مرة أسمع فيها عن مهرجان المسرح التجريبي كانت منذ بضعة أعوام.

كنت أسير في العتبة وبالصدفة رأيت إعلانات ضخمة عن المهرجان على جدران مجموعة المسارح المتاخمة لمحطة الأوتوبيس، وأنا أعرف أن بلادنا بها أشياء عجيبة كثيرة تدعمها وزارة الثقافة دون أن يعرف أحد عنها شيئا: مثل كتب الهيئة العامة لقصور الثقافة ذات الخمسين قرشا، ومعارض وندوات لا يعرف لها أحد طريقا. قلت فلأسأل مادامت الأسئلة معفاة من الضرائب حتى الآن. سألت وهالني أن تذكرة المسرحية بجنيهين اثنين! وأنا أعرف أن أقل تذكرة لمسرحيات الهلس التى يعرضها القطاع الخاص بمائة جنيه كاملة. وعلى أساس أن اللى يلاقى عز وما يتدلعش ربنا هيحاسبه، قررت أنني لابد أن أحضر بعض مسرحيات المهرجان.

اتصلت بمجموعة من الأصدقاء لكنني لم أجد أية استجابة. مسرح إيه؟ تجريبي؟ شكرا مش عايزين النهارده! ولم أجد وسيلة أجد بها مرافقا سوى صديق أقنعته بالقدوم عن طريق التهديد بقطع إمداداتي من شرائط الكاسيت عنه، لكن ذلك الصديق

خدعني وخذلني هو الآخر إذ انتظرته على المحطة ولم يأتِ، لذا ذهبت إلى العرض وحدي.

قطعت التذكرة وظللت واقفا وسط الجماهير أمام الباب. مضى وقت بدء العرض ولم أر أحدا يدخل، وكانت هناك جمهرة أمام الباب وشخص متجهم يسد الباب بجسده فى وجه الجماهير، ثم أدركت شيئا ما، إن كل هؤلاء الواقفين على الباب ليسوا سوى طلبة كليات الفنون، وهؤلاء معهم تذاكر مجانية لا يسمح لهم أحد بالدخول بها. فهتفت أن معي تذكرة وأبرزتها.رأيت علامات العجب على وجه الواقف على الباب من أن هناك مجنونا قد اشترى تذكرة. أدخلني فوجدت جزءا من العرض قد فاتني، والقاعة الصغيرة ممتلئة عن آخرها بالنقاد! لم أجد مكانا للجلوس فشاهدت العرض واقفا.

كنت قد اخترت مسرحية هولندية لا أذكر اسمها الآن، ولم يكن بالمسرحية سوى ممثلة وحيدة صلعاء الرأس! وفى وسط المسرح كانت هناك كومة من الملابس ملقاة فوق بعضها على الأرض. في كل مرة تنتقى الممثلة مجموعة من الملابس وتتقمص الشخصية التي تعبر عنها، وهكذا عبرت عن مجموعة من الشخصيات المختلفة، والمعنى هو أن شخصية الإنسان يمكن أن تتشكل وأن تختلف باختلاف البيئة. ستسألني الآن وماذا كانت ترتدى الممثلة قبل أن تختار الملابس من الأرض. أقول لك أنها

كانت ترتدى "شراب" فيليه! شراب رقيق شبه شفاف من القدمين وحتى الرقبة، وقد لاحظت أنه شراب قديم لأن به بعض الثقوب! وفى الحقيقة فقد أعجبني جدا هذا الشراب، كما أنه أعجب أيضا لجنة التحكيم لأهم منحوها جائزة أحسن ممثلة فى نهاية الدورة!

حكيت لأصدقائي حكاية الشراب فندموا على عدم الحضور. قلت لهم ألا ييتئسوا فلازال هناك المزيد من العروض. وهكذا ذهبت في المرة الثانية مع ثلاثة أصدقاء أتوا على سيرة الشراب، واخترنا مسرحية من البرتغال. هذه المرة كنت واسع الخبرة فبمجرد أن قطعنا التذاكر حتى أخذت أصرخ بأعلى صوتي بأن معنا تذاكر وأنا أرفعها عاليا! وهكذا لحقنا العرض من أوله.

بدأت المسرحية وكان المسرح مظلما تماما، ومضى علينا بعض الوقت ونحن نسمع كلاما بالبرتغالية ونحن في ظلام دامس، ثم أخذ شخص ما يضيء أعوادا من الكبريت وهو يتكلم، وكان الضوء ضعيفا جدا حتى أننا لم نر شيئا، وندمت في ذلك اليوم على عدم اهتمامي بتعلم اللغة البرتغالية. وفى نهاية العرض قام الممثلون بفتح علبة لبن مبستر سعة واحد لتر وسكبوها على الأرض في ضوء عود الكبريت!

لا داعي طبعا لأن أذكر ماذا فعل بي أصدقائي ونحن خارجون من المسرح، وقد كانت هذه هي نهاية عهدي بالمسرح التجريبي!

احنا اللى ما بنعرفش نسمع!

سمعت أغنية عمرو دياب "ليلى نهاري" أكثر من ١٠ مرات، وحتى الآن لا أستطيع أن أميز ماذا يقول! كنت أظن أنها مشكلة خاصة بي أو عيب ما في أذني، حيث أن هذا الأمر يتكرر معي كثيرا خاصة مع الأغاني الحديثة، لكنني قررت أن أسأل وأستفسر هذه المرة. سألت حوالي ستة أو سبعة أشخاص استمعوا إلى الألبوم فلم يعرف أيّ منهم ماذا يقول!

البعض قال أنه يقول" ليلى نهاري معاك"، والبعض قال "ليلى نهاري تعب"، والبعض الآخر "ليلى نهارى تعال"، وعندما شاهدت الكليب تأكدت من صدق الجملة الثالثة حيث أنه كان يشير لحبيبه بيديه كي يأتي، وهنا عرفت فائدة أخرى من فوائد ذلك الاختراع المسمى بالفيديو كليب،وهى تفسير كلام المطرب، حيث أن الغناء بالفم فقط أصبح اليوم لا يكفى!

لكنى لم أجد أي معنى أو منطقية في جملة "ليلى نهاري تعال"، فهي ليست جملة مفيدة سواء بالفصحى أو العامية، ولو كتبها طالب في كراسة لأعطاه مدرس اللغة العربية صفرا متينا؛ فكيف سيظل الحبيب يأتي طوال الليل والنهار؟ فالفعل يأتي ليس فعلا مستمرا يستغرق وقتا طويلا مثل يبقى أو يحب أو حتى ينام. ففي

تصوري أن الحبيب إذا ظل يأتي طوال الليل والنهار فلن يراه عمرو دياب على الإطلاق، لأنه سيقضي الوقت كله في المشوار، ويبدو أن حبيبه يأتي إليه سائرا من الصين! واضح أن اللحن وُجد أولا ثم لفقوا له الكلمات على مقاسه.

لكن هذه ليست مشكلتنا الآن فلازلت أريد أن أعرف ماذا يقول في باقي المذهب الذي لم يتوصل إليه أحد. وهكذا أخذت أبحث على الإنترنت وأنا أدندن على اللحن "يا حبيبي مش عارف إيبيبه.. يا حبيبي مش عارف إيبيبه" إلى أن وجدت الكلمات أخيرا، لكنى لم أستطع أن أتذكرها لأكثر من دقيقة، فعدت لدندنتي السابقة لأني وجدتها أفضل!

نفس هذه المشكلة تكررت من قبل في الأغنية الهلامية "عودوني"، فالبعض أكد أنه يقول "عودوني عينيك أحبك" والبعض قال "عودوني عليك أحبك". ثم حسم دياب الأمر عندما قال في حديث صحفي أنها "عليك أحبك". فعرفنا أنها جملة أخرى من جمل عمرو دياب التي لا محل لها من الإعراب.

لماذا يحدث هذا الأمر ويتكرر كثيرا؟ الناس يدندنون بأغان لا يعرفون كلماتها ويأكلون الكلام أثناء الدندنة متظاهرين بأنهم يعرفون ماذا يقولون. أما وقد اتضح لي أنني لست وحدي وأنني لست مصابا بضعف في السمع أو مشاكل في الإدراك، فإنه يحق لي أن أتساءل عن كنه هذه المشكلة. هل المشكلة في حناجر

المطربين أم في ركاكة كتاب الأغاني أم في التفاهات التي يفرضها التليفزيون ويُشكّل بها الذوق العام؟

لكن أغلب الظن هو أن العيب فينا نحن لأن عمرو دياب مطرب عظيم جدا وسابق لعصره كما يقول الكثيرون![١]

---

[1] عندما كتب هذا المقال كانت الأغنية المذكورة جديدة وتذاع طوال الوقت في كل القنوات. تقادمت الأغنية لكن المقال لم يتقادم ولازال ساريا على كل أغاني عمرو دياب السابقة واللاحقة!

العيب في حق ملكة الليل!

إعلان سخيف ومتحيز يذاع بشكل متكرر على إذاعة نجوم إف إم عن إحدى أنواع السيارات. كنت أريد أن أقول "إعلان حقير"، لكنني قررت تخفيف اللغة قليلا إلى أن تحكموا بأنفسكم.

الإعلان يبدأ بمقطوعة كلاسيكية أوبرالية، ثم يرتفع صوت متضايق لولد صغير يقول: "بابا عايزين نغيّر المحطة" على أساس أن ما يذاع في الراديو هو شيء سيء ومزعج ولا يسمعه سوى المجانين. نعرف بعد هذا أن زر تغيير محطة الراديو بعيد جدا لأن السيارة المعلن عنها واسعة جدا، لكن هذا ليس موضوعنا الآن.

المصيبة أن المقطوعة التي يعيبون عليها في الإعلان هي أروع جزء في أوبرا الفلوت السحري **Die Zauberflote** للأخ وولفجانج أماديوس موتسارت. أروع مقطوعة في أجمل أوبرا لأبرع مؤلف موسيقي ظهر على وجه الأرض يتخذها الإعلان هدفا للسخرية. وهذا الجزء بالذات يحتاج إلى سوبرانو (نوع من مطربات الأوبرا) من نوع خاص لتستطيع تأديتها، لأنها تحتاج إلى قدرات صوتية شبه مستحيلة، لذا فمن النادر أن تكون هناك سوبرانو لديها القدرة على تأدية هذا الجزء.

عُرضت أوبرا الفلوت السحري لأول مرة في فيينا عام ١٧٩١، وقد تحوَّلت إلى حَدَث موسيقي على الفور، وقد عُرضت مئات المرات على مدى السنوات التالية وكانت الجماهير تحجّ إليها من كل المدن القريبة. واليوم هي واحدة من أكثر الأوبرات طلبا في أمريكا وكندا، حيث مازال يقدمها الكثير من دور الأوبرا حتى الآن.

وهذا الجزء الذي تعرّض له الإعلان يُعرف بـ **Der Hölle Rache Kocht In Meinem Herzen**، أي "انتقام الجحيم يغلي في قلبي"، ويُعرف أكثر بلحن ملكة الليل، وهو يصل في بعض أجزائه إلى طبقة صوتية تدعى **F6** وهي طبقة من النادر جدا استخدامها في الأوبرات. كانت أخت زوجة موتسارت هي التي تؤدي دور ملكة الليل، وقد كان موتسارت يعرف قدراتها الصوتية الفائقة جيدا، لذا فقد كتب هذا اللحن – هو ولحن صعب آخر في نفس الأوبرا – خصيصا لإبراز قدراتها الصوتية هذه.

تقابلنا هنا مشكلة خطيرة هي مدى سيطرة وسائل الإعلام على أفكارنا ووعينا، ومسئوليتها عن تحديد ما هو جيد وما هو رديء. الموسيقى الكلاسيكية هي شيء يسمعه المجانين. الباليه لا يفرق عن الرقص الشرقي. الأفلام لا يجب إلا أن تكون كوميدية لأن الناس بحاجة إلى ذلك. القصص المصورة هي شيء خاص

بالأطفال والمصابين بقصور في الإدراك. نادية الجندي هي نجمة الجماهير وعمرو دياب هو الأذكى.

نحن بحاجة إلى نوع من الحرية في تشكيل أفكارنا بعيدا عن التصورات المسبقة التي تضعها لنا الميديا، نحن بحاجة إلى أن نخرج من نطاق ثقافة القطيع والجماهير الغفيرة موحدة الزي والرأي، نحن بحاجة إلى أن نجرب الأشياء بأنفسنا أولا قبل أن نحكم عليها، حيث هكذا يجب أن تسير الأمور.

ومن أجل كل هذا دعني أقترح عليك أن تستمع إلى المقطوعة موضع النزاع بالأسفل، وأن تحكم عليها بنفسك.

http://goo.gl/fXb9c

من ميكي وسمير إلى الشمس الملتهبة!

عندما كنت صغيرا، كانت مجلتا ميكي وسمير تمثلان جانبا هاما وأساسيا من عالمي. وفي فترة من الفترات كنت أعتقد أن مجلة سمير يكتبها ويرسمها كل أسبوع شخص اسمه سمير، ومجلة ميكي يكتبها ويرسمها شخص اسمه ميكي. وهذا الشخص الذي يصنع المجلة لابد وأن يكون شخصا ضخم الجثة جدا وحكيما ويعيش في كوخ في مكان منعزل لا يعرف أحد عنه شيئا. ثم فكرت أنه لا يمكن أن يكون هناك شخص اسمه ميكي له أذنان كبيرتان وذيل أسود رفيع. ميكي شخصية خيالية غير موجودة، سمير يمكن أن يكون موجودا أما ميكي فلا. بل سمير أيضا غير موجود بدليل هذا العدد الكبير من الأسماء المكتوبة في ترويسة العدد، بالإضافة إلى ذلك فكل قصة مكتوب أسفل عنوانها كتبها فلان ورسمها علان. إذن هناك أشخاص عاديون مثلنا متورطون في مسألة صنع مجلتين كسمير وميكي.

صحيح أنني لم أكن أحب سمير كميكي، فميكي عندي أفضل بكثير، لكنني كنت أشتريها برغم ذلك، لكن لسبب مختلف. فقد كنت أضع مجلات سمير وميكي في كومتين في رف واحد من المكتبة، وكانت كومة ميكي ترتفع باستمرار بينما كومة سمير أقل

منها، فكنت أتوقف قليلا عن شراء ميكي وأستمر في شراء سمير حتى تتساوى الكومتان فيكون شكل المكتبة متجانسا، أي أنني كنت أشتري سمير لأسباب جمالية بحتة!

فتنتني فكرة صنع القصص فأردت دائما أن أشارك فيها. ومن كثرة قراءة القصص صار لدي حسّ نقدي تجاهها: هذه لو صارت كذا لكان أفضل، ولم يكن يجب على البطل أن يفعل هذا، وهذه الشخصية مزعجة وغير ضرورية في القصة. لو هرب الشرير لكان منطقيا أكثر، وكيف عرف البوليس بما يحدث ليصل الآن ويقبض على الجميع؟

في إحدى مجلات الأطفال الأخرى رأيت مسابقة لكتابة قصة من الخيال العلمي، وفي الحال أخذت قلما وورقة وأخذت أكتب. كان مفهوم الخيال العلمي في ذهني هو السفر إلى الكواكب، ولأنني لن أكتب قصة تقليدية طبعا فقد اخترت أن يسافر البطل إلى مكان آخر لم يذهب إليه أحد من أبطال الخيال العلمي من قبل، فأرسلت البطل إلى الشمس! قدمت وصفا لسكان الشمس ومدنهم وحيواناتهم وأعدت البطل إلى الأرض بعد أن قطع عهدا على نفسه بألا يخبر أحدا بما رأى كعادة كل القصص المماثلة. بعد أن انتهيت أعدت كتابة القصة بخط أفضل ووضعتها في ظرف وألصقت الطابع وأرسلتها.

نشرت القصة في المجلة، وبجوارها رسم لما تخيلته: صاروخ يصعد إلى الشمس الملتهبة، وهنا تأكّد لي بما لا يدع مجالا للشك

أن القصص التي تنشر في المجلات يكتبها أناس مثلنا، والأدهى أن هناك أشخاص يحوّلون ما تخيله الكتاب إلى رسوم ملونة رائعة.

كان عمري وقت نشر القصة اثني عشر عاما، ومن يومها ندهتني نداهة الكتابة والكتب فلم أعد مرة أخرى!

استسلم المكان محاصر!



كيف ارتكبت الجريمة الكاملة

أمس ارتكبت جريمة عقوبتها الحبس لمدة ثلاثة أشهر، لكنني استطعت العودة إلى المترل دون أن يستوقفني أو يشك بي أحد من رجال الشرطة المنتشرين في الشوارع. مررت من بينهم وأنا أحاول ألا تبدو عليّ آثار جريمتي، ولدهشتي فقد نجحت في ذلك، ولم أكن أعرف في نفسي هذه الميول الإجرامية من قبل.

حسنا، سأقول لكم ما هي الجريمة التي ارتكبتها: لقد نسيت أمس محفظتي في المترل، والمحفظة بها بطاقتي الشخصية، وعقوبة السير بدون بطاقة شخصية هي الحبس لثلاثة أشهر، وحيث أنني قد أفلت بفعلتي هذه، فقد ارتكبت الجريمة الكاملة!

هل تعرف كم جريمة ارتكبتها في حياتك وأفلتّ منها؟ ألم يحدث مثلا أن ارتكبت جريمة كالتي قمت بارتكابها؟ ألم يحدث من قبل أن تنسى أن تأخذ معك رخصة القيادة قبل أن تركب السيارة؟ كم مرة ارتكبت جريمة تتريل أغنيات من الإنترنت؟

إن بلادنا مليئة بقوانين تجرّم وتحرّم كل شئ، ويظل تفعيل هذه القوانين متوقفا لحين الحاجة. هل تعرف مثلا أن قانون الطوارئ يخوّل للشرطة إذا اجتمع ثلاثة أشخاص أو أكثر في الشارع أن

تضربهم وتفرقهم؟ كما أنه يعطى الحق للأجهزة الأمنية في اعتقال أي شخص واحتجازه دون مسوغ قانوني سوى الاشتباه.

كنت قد استعرت شريط فيديو من أحد الأصدقاء وظل عندي زهاء سنة! أرسل لي صديقي رسالة قصيرة **SMS** بها سبة لتأخري في إعادة الشريط. هو لا يقصد طبعا سوى بعض المزاح، لكن يمكنني الآن أن أحصل على شهادة من شركة المحمول بتفاصيل هذه الرسالة واسم وعنوان مرسلها، وأرفع بعد ذلك دعوى جنائية ليحصل صديقي على ثلاث سنوات من السجن وسبعة آلاف جنيه غرامة كما ينص قانون آخر يختص بالجرائم التي ترتكب عن طريق وسائل تكنولوجية، مثل رسائل البريد الإلكتروني و**SMS**.

ثم هناك هذه الجريمة التي ارتكبها كل من لديه جهاز كمبيوتر في المترل، فجميع أجهزة الكمبيوتر المترلية في مصر تعمل ببرامج غير أصلية، وذلك لأسباب تتعلق بظروفنا الاقتصادية، والأسعار المبالغ فيها جدا التي تفرضها شركات السوفت وير، وكلنا نعرف من هو أغنى رجل في العالم، ومع ذلك يظل يصرخ ويشتكي من مشكلة نسخ البرامج.

مثلا سعر الإصدار الأخير من برنامج أوفيس **٢٥٥٩** جنيها مصريا، فهل هذا سعر مناسب لشراء برنامج يباع في دولة نامية؟ وهل نلوم الناس لاستخدام النسخ غير المرخصة بعد أن نقدم لهم أسعارا كهذه؟

حسنا، ما هى عقوبة نسخ البرامج؟

حسب المادة ١٧٩ من القانون ٨٢ لسنة ٢٠٠٢ فهي الحبس لمدة شهر وغرامة من خمسة إلى عشرة آلاف جنيه.

والآن افتح جهاز الكمبيوتر في منزلك وقل لي كم برنامجا قمت بتثبيته على الجهاز دون أن تدفع ثمنه. يمكنك الآن أن تحسب كم مليونا من الجنيهات عليك دفعه في حالة توقيع الغرامة عليك، وهو أمر يجب أن يجعلك تتوقف عن النوم مرتاح البال منذ هذه اللحظة. وفى جريدة المصري اليوم نُشر خبر يقول أن الإدارة العامة لشرطة المصنفات الفنية قد ألقت القبض على شخص فى ميدان عام كان يحمل هارد ديسك عليه أربعة برامج منسوخة! وهذا خبر خطير جدا في الحقيقة، فهذا شخص يمارس ما يفعله الناس في بلده، لكنه ذهب إلى السجن وحده.

كل ما أريد أن أقول هو أنك، أيها القارئ العزيز، لست بريئا كما تدعى، بل ستجد أنك ارتكبت عددا من الجرائم خلال حياتك، فقط تذكر متى وأين. واحترس دائما، ولا تظن أنك في أمان كامل، بل يمكن أن يوقَع بك في أية لحظة إذا لم تكن منتبها لما يكفي!

الأسانسير من حقوق الإنسان!

لي صديق يدرس في الجامعة الأمريكية. أحيانا أجد صديقي هذا على الماسنجر فنثرثر معا، ثم ثم أكتشف بالصدفة أنه ليس في البيت وإنّما في معمل الإنترنت في الجامعة. نفس صديقي هذا دعاني في إحدى المرات لأحضر عرضا مسرحيّا في جامعته، وبغض النظر عن الإمكانيات الهائلة للمسرح ضوئيا وصوتيا والذي ربما يتفوق على المسارح التجارية نفسها، وبغض النظر أيضا عن الحرية الهائلة التي تمتع بها النصّ، فهذا ليس موضوعنا الآن، فإن الذي لفت انتباهي هو أننا صعدنا إلى المسرح في الطابق الرابع في الأسانسير.

تذكرت الأسانسير في كليتنا المصون. حيث هناك موظف في كل دور يجلس أمام باب الأسانسير مهمته أن يطرد الرعاع من الطلبة ويبعدهم عنه، فالأسانسير مخصّص لاستخدام الأساتذة فقط، وهو يتقاضى مرتبا عن وظيفته تلك.

في إحدى المرات كنت في الطابق الخامس ووجدت باب الأسانسير مفتوحا ولا أحد يجلس أمامه (دعنا نكون مثقفين ونسميه المصعد من الآن فصاعدا)، وبكل صفاقة دخلت وهبطت فيه إلى الطابق الأرضي. انفتح باب المصعد في الطابق الأرضي

وعلى الفور هبّ الموظف الجالس أمامه ليحيي الأستاذ الخارج من الباب، لكنه فوجيء بي وهاله أن يبلغ أحد الطلبة هذا الحد من الصفاقة، وعلى الفور أمسك بي ودعاني للذهاب معه إلى مكتب العميد كي أتعرض للرفد بسبب فعلتي الشنعاء هذه، لكنني نظرت له باستعلاء ساخر (وهذه موهبة خاصة بالمناسبة)، فاعتقد أنني ربما أكون ابنا لأحد الأساتذة، ففضل أن يتغاضى عن الأمر وتركني أمضي.

حسنا، ربما لا تكون هذه المقارنة بحاجة إلى تعليق، لكن يجب مع ذلك أن نضع الحكمة في نهاية الكلام:

في البداية ليس لهذا الأمر علاقة بأساتذة الجامعة أنفسهم، صحيح أن بعضهم يهوى التنفيس عن نفسه في الطلبة، إلا أن الأكثرية ليست كذلك – على الأقل في كليتنا، لكن ما يحدث هو سياسة عامة. صحيح أننا لا ندفع في جامعاتنا الحكومية المبالغ التي يدفعها طلاب الجامعة الأمريكية لنطالب بمصاعد وإنترنت، وصحيح أن الميزانيات ضعيفة ومتهالكة،إلا أننا نتعلم في جامعاتنا ومدارسنا درسا مهما هو أهم ما نخرج به من التعليم، نتعلم الخوف. نتعلم أن الواحد منّا فرد منعدم القيمة إلا إذا كان يمتلك سلطة تتمثل في وساطة ما. نتعلم أنه لا رأي لنا وأن الرأي الصحيح والوحيد هو ما يُملى علينا. نتعلم أننا أصفار على اليسار وأننا خارج المنظومة ولا قيمة لرأينا فيما يُتخذ بشأننا من

قرارات. نتعلم التواضع أيضا، وأن نترك المصعد ونصعد على السلّم، وألا ندوس على السّجادة الحمراء في المدخل بل نمر من جانبها حتى لا يشخط فينا الغفير. نتعلّم أن نسير بجوار الحائط ولا نجهَر برأي. أن نعرف أن مبنى الجامعة الرئيسي ذي القبة الضخمة الرائعة محظور دخوله على الطلبة، وأننا دخلنا الجامعة وخرجنا منها دون أن نرى هذا المبنى من الداخل، ذلك لأنها جامعتهم وليست جامعتنا، وبلدهم وليست بلدنا.

الشرطة في خدمة الأغنياء..

الشعب سابقا!

في أحد الشوارع المتفرعة من الأوتوستراد بمدينة نصر، يوجد مشروع استثماري هائل يدعى سيتي ستارز. ١٣ دار عرض سينمائي ومول تجاري ضخم قد يعد الأكبر والأفخم في مصر، إضافة إلى أبراج سكنية وأبراج للمكاتب. كل شيء مُنفذ على أعلى مستوى من الفخامة والرفاهية. تدخل إلى المكان فتنتقل في لحظة إلى أوروبا (أو أي مكان آخر تتخذه بينك وبين نفسك نموذجا للرفاهية).

هذه الفخامة الهائلة يصاحبها وجود أمني مكثّف غير مسبوق، يبدو كاللطع السوداء المشوهة على الجسد الأنيق المُهَندم للمكان. وجود أمني كثيف جدا حتى أن وزارة الداخلية أنشأت نقطة شرطة في المكان تحت اسم شرطة سيتي ستارز تحمل اسم وزارة الداخلية، ولا أعرف ما مدى مشروعية أن تقوم الوزارة بإنشاء وحدة شرطة خاصة بمشروع استثماري، وكأنه حيّ منفصل وحده.

أفراد الأمن يقفون في كل مكان. حواجز وسلاسل حديدية على كل الأرصفة المحيطة بالمكان لمنع السيارات من الركن.

سيارات شرطة وأوناش تجوب الشوارع المحيطة بمربع المشروع. ومن أجل الركن في الجراج الخاص بالمشروع، يجب الوقوف بالسيارة في طابور طويل جدا لتصل إلى دورك الذي يقوم فيه أحد أفراد الأمن بتفتيش حقيبة السيارة الخلفية، وجعل أحد الكلاب البوليسية يتشمّم السيارة من جميع جوانبها للبحث عن الممنوعات. وفي داخل المركز هناك تحكّمات أمنية أخرى: مثلا، ممنوع الاستناد على السور! ولا أدري ما الحكمة من هذا إلا إذا كنتَ ترغب في البصق على المتسوقين في الطابق الأرضي كما يفعل طلاب المدارس الثانوية بالمتسكعين في الحوش! إذا فقدت البطاقة التي ركنتَ بها في جراج المول يجب عليك دفع غرامة، وإذا دفعت ثمن انتظار السيّارة (الذي يتمّ في الطابق تحت الأرضي قبل ركوب السيارة) أمامك عدد معين من الدقائق للخروج بالسيارة من المكان إذا تجاوزته عليك دفع غرامة أخرى!

ألا ترى أنه شيء مهين أن تتعرض لكل هذه الغرامات والتحكمات الأمنيّة وأن تستمع إلى الكثير من عبارات "ممنوع يا أستاذ" في مكان يُقدّم خدمات ومنتجات باهظة الثمن، ويمثل قمة قيم الاستهلاك والرأسمالية؟

في الدول الرأسمالية يحترمون المستهلكين لأن الأموال التي ينفقونها هي مصدر هذه الرفاهية، حتى أنهم ابتكروا شعار

"الزبون دائما على حق Customer is always right"، أما هنا فيبدو أننا "نأخذ على دماغنا" بفلوسنا. تدفع أموالا كثيرة دون أن تحصل على خدمة مناسبة في مقابلها، ذلك لأننا دائما ما نستورد من الأشياء أسوأ ما فيها، نستورد سيئات النظام الرأسمالي دون حسناته، لنعيش في دولة ترعى البرجوازيين دون المهمّشين، وتفرض الضرائب على الفقراء وتعفي الأغنياء.

نعود إلى سر التواجد الأمني المكثف في المشروع: هل يشعر القائمون على هذه المشاريع بأنها مشاريع مثيرة للاستفزاز في بلد يقع نصف سكانه تحت خط الفقر، فيهتمون كثيرا بتأمينها أمنيا؟ هل هناك شعور عام بأن هناك مُعدما ما قد يأتي ويفجّر نفسه في المكان وفي رواده من "أبناء الناس"، لذا وَجَبَ الاحتياط بهذا الوجود الأمني المكثف؟ ثم ألا تلاحظ الاستجابة المبالغ فيها من وزارة الداخلية (بإنشاء نقطة شرطة خاصة بالمكان ومنع الركن في كل الشوارع المحيطة) بينما هناك أماكن كثيرة في مصر معروفة بالاسم تشتهر بوقوعها تحت سيطرة البلطجيّة، وبأنها معاقل لتجارة المخدرات والممنوعات، دون أن يهتم أحد بتأمينها؟ هل أصبحت وظيفة الشرطة في مصر حماية الأغنياء من الفقراء؟ يذكرني هذا الأمر برواية "يوتوبيا" للدكتور أحمد خالد توفيق، تتّسع فيها الهوة بين الأغنياء والفقراء في مصر، لدرجة أن الأغنياء يعزلون أنفسهم في مدينة معزولة ومسوّرة بحماية الحكومة والشرطة، تاركين باقي مصر ينهشها الفقر واللصوص.

تبدو لي الآن هذه القصة غير بعيدة عن التحقيق.

جمهورية الذل العربية

حتى العسكري الغلبان يفتري على الجزمجي الأكثر غلبا.

كنت في ميدان التحرير بجوار كنتاكي في انتظار أحد الأصدقاء، عندما لاحظت أن العساكر يتوافدون على الجزمجي يلمعون أحذيتهم دون أن يدفعوا شيئا. حوالي ثلاثة عساكر في الفترة التي وقفت فيها دون أن يدفع أي منهم وكأن هذا حق أصيل لهم.

أصبحت هذه عادة مصرية أصيلة. كل من لديه ولو قدر ضئيل من السلطة عليه أن يذل من هو أقل منه، حتى تحولنا إلى شعب من المذلولين. وتختلف درجة الذل حسب درجة المكانة، تلك المكانة التي تكتسب إما بالمال أو السلطة أو كليهما. يبدو الأمر مرتبا ترتيبا تنازليا مثل شجرة العائلة: المذلول الكبير يذل المذلول الصغير، والمذلول الصغير يذل المذلول الأصغر، والمذلول الأصغر عليه أن يبحث عن شخص آخر يذله، إلى أن نصل إلى جذور الشجرة تحت الأرض والتي تساوى أتفه أنواع الذل، حين يذل المذلول الصغير جدا (العسكري الذي لازال يرتدي الملابس الشتوية رغم الحر لأن الأوامر بتغيير الملابس لم تصدر بعد) مذلولا آخر لا يمتلك شيئا من متاع الدنيا كالجزمجي.

هيا نذلّ بعضنا بعضا: المدرس يذل التلاميذ في الفصل تارة بالتقريع والمعاملة السيئة وتارة بالواجبات المكثفة. مدير المدرسة يذل المدرسين وقد يفرض عليهم إتاوات عن الدروس الخصوصية التي يتركها تمرّ من تحت أنفه. الأستاذ الجامعي يذل الطلبة ويهددهم بعظائم الأمور من امتحان مستحيل الحل آخر العام وفرص عظيمة للجميع لإعادة السنة. المشرف على الرسالة العلمية يذل طالب الدراسات العليا ويوجهه إلى النتائج التي يريدها.

الطبيب يذل المرضى في المستشفيات (اذهب إلى أي مستشفى للتأمين الصحي وتفرج بنفسك). هذا الطبيب يذله رئيس القسم (اقرأ قصة المرمطون لعلاء الأسواني)، وهو نفسه يذل الممرضة. الضابط يذل العسكري وقد يضربه بالشلوت أحيانا. العقيد يذل الضابط في المكتب وهو يملي عليه التعليمات.

رئيس القطاع يذل رئيس مجلس الإدارة، ورئيس مجلس الإدارة يذل المديرين، والمديرون يذلون الموظفين، والموظفون يذلون الجمهور الذي يقع في أيديهم. صاحب الشركة أو العمل في القطاع الخاص لا يفرق كثيرا عن نظيره الحكومي، وكثيرا ما يتم طرد الموظف في القطاع الخاص قبل أن يصبح مستحقا للترقية وزيادة المرتب بقليل (اسألوا العاملين في شركات الأدوية على سبيل المثال).

الخدمة العسكرية في الجيش هي الذل الأصلي الذي يشمل جميع أنواعه وألوانه وأطيافه، ناهيك طبعا عن ذل السجان للمسجون، وذل الذي يملك للذي لا يملك، والسيدة للخادمة، وحتى ذل الأب لأولاده.

حتى إذا ما ترقيت ووصلت إلى أعلى المناصب وصرت وزيرا، فإنك تظل مذلولا تتلقى التعليمات والتوجيهات الفوقية التي لا تستطيع أن تحيد عنها. ويظل السلم الذلّي (على وزن السلم الوظيفي) ينحدر هابطا إلى أن نصل إلى السطر الأول من هذا المقال مرة أخرى.

أهلا بكم في جمهورية الذل العربية.

شجار مع الأشجار!

في مدينة شتوتجارت الألمانية، قامت مصادمات بين متظاهرين من سكان المدينة وبين الشرطة، واندلع الغضب في صدور عشرات الآلاف من سكان المدينة، وطالبوا بإقالة رئيس الولاية، كل هذا بسبب قيام الحكومة بقطع ٢٥ شجرة ضمن أعمال مشروعات تطوير المدينة وإقامة مجموعة من الأنفاق تحت الأرض. ما زاد الأمور بلة أن هذه الأشجار كان يسكن بها نوع نادر من الخنافس التي تضع يرقاتها على هذه الأشجار. قطع الأشجار وتشريد الخنافس أدى إلى كل هذا الغضب، وتقوم الحكومة الآن بمراجعة خطط التطوير التي كانت قد أقرتها مسبقا.

تعالوا نعبر البحر المتوسط الآن إلى الجانب الآخر، فقد قام أحد المحال التجارية بالقرب من بيتنا بقطع أفرع شجرة كانت توجد بالقرب من المحل وحولها إلى عصا خشبية بلا أوراق، حتى تظهر لافتة المحل أكثر، والأدهى أنه دهن ما تبقى من جذع الشجرة بالبوية حتى لا تتنفس وتورق مرة أخرى.

كان صاحب المحل قد تشجع على القيام بهذه الخطوة بعد أن رأى أصحاب المطعم الشهير المجاور وهم يجتثون شجرتين من جذورهما كانتا على الرصيف أمام المحل، دون أن يتعرض لهم

أحد. في كل مكان في مصر يوجد به محل تجاري فإن أصحاب المحل لابد أن يقطعوا أقرب شجرة توجد في المكان، ويأتي عمال البلدية دائما لإزالة جثث الأشجار مقابل إكرامية ما.

كنت أعتقد أن سكان المكان سيثورون على ما حدث، إلا أنهم لدهشتي كانوا سعداء لأن هناك من تكفل بالأمر عنهم.

في توقيت مقارب كانت هناك مذبحة أشجار حقيقية في شارع محمود تيمور، برغم أن الأشجار تقع أمام سور مدرسة،ولا توجد محال تريد للافتاها أن تظهر، إلا أن الجريمة تمت بمباركة سكان الشارع لأسباب غبية أخرى، كمنع التلاميذ من الوقوف والتسكع في الظل تحت الأشجار، أو التخلص من العصافير التي تسكن بها لأنها "بتعمل دوشة"، أو لأنها تتبرز على السيارات التي تصطف في المكان، أو لأي سبب أحمق آخر. لكن ماذا كان سيفعل السكان بالأشجار إذا عرفوا أن الخنافس تضع يرقاها فيها كالأشجار الألمانية؟ لعلهم كانوا سيحرقونها بالجاز على أقل تقدير!

الإنسان المتحضر الذي يسكن في أوروبا شعر بالألم لقطع الأشجار، بينما الإنسان البدائي الذي يعيش في مصر يشعر بالسعادة لقطعها. الإنسان المتحضر الذي يعيش في أوروبا يسعى للحفاظ على الأشجار والبيئة والكائنات، بينما الإنسان البدائي الذي يعيش في مصر يسعى إلى قطع الأشجار ويعتبر هذا العمل

نوعا من النظافة. الإنسان المتحضر الذي يسكن في أوروبا ثار وهدد بإقالة الحاكم لأنه لم يحافظ على الأشجار، بينما الإنسان البدائي الذي يعيش في مصر يدفع الرشاوي للتخلص منها. الإنسان المتحضر الذي يسكن في أوروبا يتمتع ببلاد جميلة ونظيفة وهو يسعى للحفاظ عليها بكل قوته، بينما الإنسان البدائي الذي يعيش في مصر لا يهتم سوى بمصلحته الشخصية ويقوم بتخريب بلاده بنفسه آتيا على الأخضر واليابس.

قديما قال عباس العقاد أن الناس في بلاده يُعجَبون بالبَرَص الأبيض في الوجه الأسمر، دلالة على فساد الذوق، ورغم مرور عشرات السنين على ملحوظة عباس العقاد، لم يتغير الناس ولا يبدو أنهم سيفعلون.

أخبار الحرامية والنصابين!

كل شيء في مصر قابل للسرقة.

حتى إذا ترك البواب المقشة والخيشة التي يمسح بها السلم بجوار الحائط يعود فلا يجدهما. فالسرقة الآن أصبحت في وفرة الماء والهواء. إذا لم تتعرض للسرقة في هذا البلد حتى الآن فلا شك أن هناك شيء غير طبيعي، فيك أو في اللصوص الذين لم ينتبهوا لك حتى الآن!

أدى تدهور المستوى الاقتصادي للناس بسبب ارتفاع الأسعار وتدني الأجور بإلقاء عشرات من الحرامية الجدد إلى السوق، فكلما زاد عدد الفقراء زاد عدد اللصوص، والأذكياء منهم هم الذين يطلق عليهم النصابين.

سيصيبنا التعَب والعجَب إذا حاولنا أن نعدد السرقات العجيبة التي يتعرض لها الناس، بعض هذه السرقات عبقري لدرجة أنك يجب أن تبدي إعجابك بالعقول المدبرة، فلا تعرف هل تبكي أم تضحك. وبعض هذه السرقات يكون ابتكاريا لدرجة أنه يستحق التسجيل في موسوعات الغرائب والطرائف!

وعلى طريقة ابن الجوزي في كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين"، سنقدم لكم في السطور التالية بعض أخبار الحرامية والنصابين في مصر المحروسة.

مثلا، منذ عدة سنوات أثناء إنشاء مشروع مترو الأنفاق، تم سرقة لوري ضخم من معدات المشروع. ذهبوا صباحا إلى الموقع فلم يجدوه. اختفى تماما ولم يعثر له على أثر حتى الآن!

أنابيب البترول التي تسير في الصحراء يثقبونها ويسحبون منها البترول. كثيرا أيضا ما تسرق كابلات الكهرباء التي تسير على أعمدة الإنارة. يسرقون عشرات الأمتار منها ويبيعونها. وبمناسبة أعمدة الإنارة، إذا ذهبت إلى العتبة ستجد أن بائعي شرائط الكاسيت قد فتحوا عمود النور وقاموا بصنع شبكة من الوصلات الكهربية داخله يحصلون منها على الكهرباء لتشغيل أجهزة الكاسيت! أيضا كل أكشاك البيبسي وباعة الخضر الذين انتشروا كالسرطان على الأرصفة يحصلون على كهربائهم من العمود المجاور. وعملية سرقة الكهرباء من أعمدة الإنارة هذه منتشرة جدا في الأحياء الشعبية والقرى الريفية، وقد تجد عمارات بأكملها تحصل على الكهرباء من العمود المجاور لها!

قضبان القطارات تسرق في الأماكن الريفية، وأغطية البلاعات أيضا يتم جمعها وصهرها في المسابك. عندما انفجرت ماسورة المياه الرئيسية في مدينة نصر لتنقطع المياه عنها لأكثر من أسبوعين كانت هناك عصابة تحفر في الصحراء بجوار الماسورة لسرقة شيء ما كما صرح وزير الإسكان في التليفزيون، إلا أنه رفض الإفصاح عما كانت تسرقه العصابة.

في معظم قرى الصعيد هناك بيوت يحفر أهلها تحتها إلى عشرات الأمتار أملا في العثور على آثار لبيعها أو تهريبها. وفي القرى سرقة المواشي لم تفتر منذ مئات السنين إلى اليوم.

من أعجب عمليات السرقة أيضا سرقة الموتوسيكلات من الشوارع، حيث تمر سيارة نصف نقل في الشارع وبسرعة يترل منها شخصان أو ثلاثة يحملون الموتوسيكل المركون ويلقون به في السيارة وينطلق السائق بسرعة!

صناديق القمامة البلاستيكية التي وضعتها شركات القمامة الأجنبية كانت تسرق أيضا، إذ كان يجمعها البعض ويبيعونها لشركات البلاستيك لصهرها وتحويلها إلى مادة خام مرة أخرى! والقمامة نفسها تسرق أيضا! فالزبالون القدامى يمرون بعرباتهم الخشبية التي تجرها الحمير مساء ويقلبون الصناديق البلاستيكية على الأرض وينتقون من القمامة الأشياء التي تنفعهم كالمواد البلاستيكية والزجاجية والورق والكرتون.

إذا تركت أي شيء في السيارة حتى لو كان كيسا من النايلون لا يظهر ما به ستعود وتجد زجاجها مكسورا.ورغم أن كاسيت السيارة لم يعد يستحق السرقة لأن عائد بيعه ضعيف جدا،إلا أنه لازال من أهم أهداف السرقة لدى حرامية السيارات،حتى أن الأجيال الجديدة من أجهزة الكاسيت أصبح لها وجه منفصل يمكنك أن تأخذه معك كلما تركت السيارة ثم تركّبه عندما تعود لها مرة أخرى!

علامات ماركات السيارات وطاسات الإطارات والمرايا الجانبية أيضا لا تسلم من السرقة، حتى أنه من النادر أن ترى سيارة في شوارع المحروسة ولها طاسات على الإطارات. أحد أصدقائي اشترى سيارة جديدة وركنها أسفل المنزل، وفي الصباح وجدها بدون إطارات! لقد قام أحد أولاد الحلال بإحضار عدة وفك الإطارات وأخذها ورحل دون أن يكلمه أحد! السيارات نفسها تسرق بطرق عجيبة وتباع قطعة قطعة كخردة وقطع غيار.

أي شخص يركب دراجة سيعود إليها يوما ما ويجد السلسلة الحديدية منشورة بصفيحة منشار والدراجة غير موجودة.

إذا ركبت تاكسي وكان معك حقيبة أو شيء كبير الحجم ووضعته في حقيبة التاكسي الخلفية أو على الشبكة أعلى السيارة،ففي الغالب سينطلق السائق بالسيارة قبل أن تأخذ أشياءك! وسائقو التاكسي يتعرضون أيضا للنصب من الزبائن، فكثيرا ما يطلب الزبون توصيله إلى مكان متطرف إلى حيث يخرج هو أصدقاؤه على السائق بالمطاوي ويجردونه من حصيلة اليوم ومن السيارة نفسها أيضا، وعادة ما يحدث هذا في شوارع مدينة نصر المتطرفة، وفي منطقة عزبة الهجانة.

هناك أشخاص متخصصون في السرقة من المحلات التي تقدم خدمة التوصيل للمنازل، حيث يتصلون بالمحل من كابينة هاتف

ويطلبون شيئا بخمسة جنيهات مثلا ويطلبون باقي مائة جنيه لأنه لا توجد فكة معهم، ويعطونه عنوانا في عمارة لا يكون لها بواب في الغالب، وعندما يأتي فتى التوصيل ينتظرونه في بئر السلم ويضربونه ويأخذون باقي المائة! وفي أحيان أخرى يقول له النصاب أنه سائق سعادة الباشا اللواء ويأخذ منه الأشياء المطلوبة وباقي المائة ويقول له أن ينتظره بالأسفل حتى يحضر له المال لأن الباشا لا يحب أن يصعد إليه أحد، ثم يصعد إلى أعلى ويختفي!

زميل لي يعمل في صيدلية دخل إليه زبون طلب منه دواء من الأدوية التي توضع في الثلاجة، وعندما دخل المعمل ليحضره خرج ولم يجد ستاند أمواس الجيليت باهظة الثمن!

وإذا ذهبت إلى سوبرماركت مترو ستجد أنهم قاموا مؤخرا بوضع قفل حديدي على كل قضيب معدني توضع عليه هذه الأمواس، ربما ترى أن وجود حوالي ثلاثين قفلا بثلاثين مفتاحا على ستاند واحد هو شيء عجيب، لكن يبدو أنهم سُرِقوا بما فيه الكفاية حتى لجئوا إلى هذا الحل المرهق. وفي آخر مرة كنت فيها في كارفور ذهبت إلى قسم الملابس ووضعت يدي في جيب جاكيت أعجبني لأجد علبة فارغة من علب أمواس الجيليت هذه! ويبدو أن السارق أخذ الأمواس في جيبه وتخلص من العلبة الفارغة في هذا المكان الغريب.

لقد سُرقت من الصيدلية التي أعمل فيها بما فيه الكفاية أيضا، حتى أنني أصبحت أشك في كل من يأتي ويطلب دواء غالي

الثمن، فحرامية الأدوية يعرفون بالضبط ما هي الأدوية التي تستحق السرقة، الأدوية مرتفعة السعر والتي عليها طلب وبالتالي يستطيعون تصريفها بسهولة، ويعرفون أيضا ما هي الأدوية التي تتكامل مع بعضها لعلاج مرض واحد حتى لا يشك الصيدلي في الحرامي. لقد انتهى الآن عصر خدعة "هاجيب باقي الفلوس من العربية" التي ينطلق بها دون أن يدفع، وأصبحت السرقات أكثر مباشرة، مثل أن يطلب عدة أشياء تضعها على الكاونتر أمامه ثم يطلب شيئا آخر وهو يعد النقود ليدفع وبمجرد أن تلتفت يأخذ الأدوية باهظة الثمن التي طلبها وينطلق جريا إلى سيارة تنتظره أمام الباب. والغريب أن الحرامية من هذا النوع يقومون بهذا النوع من السرقات وهم يرتدون البدلات الرسمية وربطة العنق حتى أنك لا يمكن أن تشك للحظة أن يكون هذا الشخص الأنيق المهذب لصا! هناك أيضا خفيفو اليد الذين يستبدلون العلبة المليئة بأخرى فارغة في لحظة ثم يكتشفون عند الدفع أنه لا توجد في جيوبهم سوى دولارات فيذهبون لاستبدالها من الصرافة لتكتشف عندما لا يعودون أن العلب التي تركوها فارغة.

هناك بنت لطيفة تسرق الصيدليات بطريقة مبتكرة، إذ تدخل الصيدلية وفي لحظة واحدة – وبخفة يد لا تصدق – تسرق علبة أمواس جيليت (الجيليت مرة أخرى!)، ثم تتشاجر مع الموجودين لأنها تريد إرجاعها على أساس أنها اشترتها أمس وليس هذا هو النوع الذي تريده، ورغم أن أحدا لا يتذكر أن هذه الفتاة

اشترت هذه الأمواس من المكان، إلا أنهم يعطونها ثمنها على أساس أن عليها تيكيت الصيدلية. وقد نفذت هذه البنت هذه الطريقة مع كل صيدلية أعرفها!

أما عن سرقة الموبايلات فحدّث ولا حرج. فقد تحولت سرقة الموبايلات إلى مهنة مستقلة وصناعة كاملة تقتات منها مئات الأسر!حتى أن كل أنواع السرقات الأخرى قد خفت وطأتها بعد ظهور الموبايل لأنه استحوذ على وقت وجهد معظم الحرامية! فقد أصبح كل شخص يسير في الشارع وفي جيبه جهاز بالشيء الفلاني، وكل حقيبة سيدة بها موبايل، أي أن أي شخص يسير في الشارع أصبح يستحق السرقة بعد أن كان الحرامي يخاطر فيما مضى بسرقة شخص ثم يتضح أن محفظته ليس بها عشرة جنيهات!

أصبحت هناك عشرات الطرق المبتكرة لسرقة الموبايلات فضلا عن السرقة بالإكراه. إذا كنت تضع الموبايل على الطاولة أمامك في أي مكان (نادي/ مطعم/ تابلو السيارة/ كاونتر محل أو ما شابه)، يأتي إليك شخص من اليمين بحيث تلتفت له برأسك ليحدثك أو يسألك عن شيء ما، ويأتي شخص آخر من اليسار يأخذ الموبايل وينصرف. هناك عصابة من شخصين أو ثلاثة تذهب إلى محلات الموبايل لانتقاء واحد، وعند الدفع يذهب أحدهما ليحضر النقود من السيارة، وعندما يتأخر يذهب الآخر ليرى لِمَ تأخر صديقه، وعندما لا يأتي الاثنان يفتح صاحب المحل

علبة الموبايل التي كانا سيبتاعانها ليجدها فارغة! هناك شاب لطيف يدور على المحلات ويقابل صاحب المحل ليتعرف عليه ويخبره أنهم افتتحوا محلا للموبايلات بجواره وأنه بمناسبة الافتتاح وحق الجيرة يريد أن يعطيه جرابا جديدا ونغمات مجانية للموبايل، وأن عليه أن يرسل أحد العمال معه بالموبايل ليضع له النغمات، ويخرج هو والعامل ويظلوا يسيرون إلى أن يصل إلى أحد محلات الموبايل، ويقول للعامل أن سيارة صاحب المحل غير موجودة ولهذا سيضطر أن يترك له الموبايل إلى أن يأتي صاحب المحل ليضع النغمات و"الحاج عارف المكان"، يترك له العامل العبيط الموبايل ويذهب بينما يرحل النصاب بالموبايل. وهناك طرق عديدة أخرى يحتاج تعديدها إلى كتاب كامل. أما عن محاولة إرجاع الموبايل عن طريق التبليغ عن الرقم المتسلسل فأصبحت لا تجدي في معظم الأحيان، فهناك برنامج يستعمله لصوص الموبايلات لتغيير الرقم المتسلسل للجهاز وبالتالي لا يمكن التوصل إليه.

أصبح كل شيء في مصر قابل للسرقة مهما كان تافها وحقيرا، لذا انتبه جيدا لأننا نعيش في زمن النصب.



طابور الصباح

الكتاب الحقير والمعجم العقيم!

علمنا مدرس اللغة العربية في الصف الثاني الثانوي أننا عندما نتحدث عن كتاب الوزارة نقول: (الكتاب الحقير). فكان من المشاهد المألوفة في الفصل أن يقف طالب ويستفسر عن معلومة ما فيقول: "لو سمحت يا أستاذ.. في الكتاب الحقير بتاع الوزارة مكتوب كذا وكذا..". أما عندما نتحدث عن المعجم الوجيز الذي يوزع على الطلاب في بداية المرحلة الثانوية فعلينا أن نقول: (المعجم العقيم). وهو معجم عقيم فعلا لأنه غير كامل. والدليل على ذلك هو العبارة السحرية المطبوعة على غلافه. العبارة تقول: "طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم"، لذلك فقد حذفوا منه كل ما يمكن أن يفسد التربية ويكدر التعليم.

والمعاجم الحقيقية أعظم حجما وقيمة بكثير، ويمكن أن تجد بها شروحا لألفاظ تخجل من التفكير فيها فضلا عن التفوه بها.

على العكس من ذلك القاموس الإنجليزي لونجمان الذي يوزع أيضا على مستجدى المرحلة الثانوية، وهو قاموس جامع وشامل فعلا ويستحق الاحتفاظ به ووضعه فى مكان لائق بالمكتبة أو فوق التليفزيون. ففيه يمكنك أن تجد معان لكثير من الشتائم التي نسمعها فى الأفلام الأمريكية دون أن يتطوع أحد بشرح

معناها، كما أن كل الطلبة يحفظون ماذا يوجد في الصفحة رقم ٢٩٩ من القاموس.

ولكي لا تتعب نفسك – إن كنت لا تعرف – وتبحث في صناديقك القديمة وفى السندرة، أقول لك أنها رسم كروكي لرجل وامرأة عاريين مع أسهم توضح أسماء الأجزاء المختلفة من الجسم، وهى الصورة التي أقامت عليها الدنيا إحدى الصحف صفراء اللون والعقيدة، متهمة وزارة التربية والتعليم بالإباحية وإفساد أخلاق التلاميذ، الأمر الذي يدل على قصور فكري وأخلاقي معا لدى بعض القائمين على الصحافة في مصر. لكن للأسف فإن الوزارة استجابت لهم ولهذا فإن الطبعات الجديدة من القاموس تخلو من هذه الصورة.

يقول خبراء تعليم اللغات أن أفضل الطرق لتعلم لغة هي الأغاني والشتائم (!). على أية حال فهذه الأشياء المثيرة – هي فقط – التي تشجع التلاميذ على البحث العلمي والتنقيب في الكتب. وانظر إلى التعبيرات السيريالية التي ترتسم على وجه أي طالب عندما تطلب منه عمل بحث – مثلا – عن صناعة الأواني الفخارية في شبه جزيرة الهند قبل الميلاد، وقارن هذا بالحماس البالغ الذي يظهر عند القيام ببحث حر لأغراض لا علاقة بها بالدراسة، مثل البحث الذي قمنا به عندما أوفدنا بعض الزملاء إلى المكتبة العامة للبحث عن قصة عنتر بن شداد.

وقصة عنتر بن شداد كانت مقررة علينا في المدرسة في وقت ما، لكنها كانت تحمل أيضا العبارة السحرية (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم). لذلك لم نصدق أن اللقاء بين عنتر وعبلة في القصة كان باردا إلى هذا الحد. أبعد كل هذه الحرب والكر والفر والطعان والبعد والهجر واللوعة لا يكلف الكاتب نفسه فيصف حرارة اللقاء ببعض الضمير؟! وهكذا قضينا الساعات الطوال في عقد عمليات مقارنة مضنية لنكتشف أن الكاتب فعلا لم يكن ذا ضمير!

ما أريد أن أقول هو أن التعليم يجب أن يكون شيقا ليحث التلاميذ على الإقبال عليه. فليس التعليم هو دراسة كل ما هو صعب وممل ويبعث على الغثيان ويثير الشعور بالعجز.

هل هي صدفة أن تكون كل القصص التي قررت علينا في مناهج اللغة العربية ليس فيها ما يثير الشهية للقراءة؟ ألا توجد في هذا العالم قصة واحدة مشوقة تصلح للتدريس في المدارس؟

لهذا يجب ألا يتعجب المسئولون عن التعليم في بلادنا عندما يرون أجيالا متعاقبة لا تطيق القراءة وتكره البحث في الكتب، لأن كل مرة يمسك فيها أحدهم كتابا ينتابه نفس الصداع الذي كان ينتابه عندما كان يحاول فك طلاسم الكتاب الحقير بتاع الوزارة.

تعرفون ما هو الكتاب الحقير طبعا!

أنا والدكّة!

الدكة هي صديقتك التي تظل معك من أول يوم في السنة الدراسية إلى آخرها، لذا عليك أن تختار دكّتك جيدا في اليوم الأول للدراسة، لأن الرفيق يأتي قبل الطريق، بينما تأتي الدكة قبل الاثنين! ومن ناحية أخرى فإن الدكة الصالحة تصنع طالبا صالحا، بينما الدكة المعطوبة تصنع طالبا فاسدا!

الدكة هو الاسم الذي كان يطلقه أهالينا على تلك القطعة المكتبية العجيبة التي تتكون من مكان للجلوس ومكان للكتابة ملتصقين ببعضهما البعض. في الخليج يسميها الطلبة "الدُّرج"، وعندما كانت مدرستي في العباسية كنا نطلق عليها "البنش"، أما عندما انتقلت إلى مدرسة في مصر الجديدة فقد تحوّل اسمها إلى "الديسك"!

حدّث عن "الدّكك" في مدارسنا ولا حرج، الدّكك لدينا عبارة عن قطع خشبية مُحطَّمة لا رابط بينها. من النادر ألا يكون هناك مسمار يساهم في تمزيق بناطيلك طوال السنة، وحفر وأخاديد في الخشب تساهم في جعل خطك – السيئ أصلا – أكثر سوءا. وفي الامتحانات لن يَسمح لك أحد أن تضع كتابا أو وَرَقاً أسفل ورقة الإجابة حتى تتفادى الأخاديد العميقة التي تجعل الكتابة مستحيلة، وعليك أن تتحمل غلاسة الخشب فضلا عن غلاسة الأسئلة.

في الصف الثاني الثانوي، وقع نصيبي – عمرو وأنا – في دكة بدون قطعة خشبية للجلوس. ولتخيُّل الأمر فإن الدكة عامة تتكون من هيكل معدني وثلاث ألواح خشبية: لوح للكتابة عليه وآخر للجلوس وثالث لسند الظهر. كانت دكتنا في ذاك العام بدون لوح الجلوس، وكان علينا أن نجلس على الماسورتين المعدنيتين الرفيعتين المتوازيتين المخصصتين لتثبيت المسامير والفراغ بينهما!

بالطبع لم يكن من الممكن السكوت على هذا الوضع المزري. لم تُجْدِ الطرق الدبلوماسيّة، فلا مشرف الفصل ولا مشرف الدور فَعَلا شيئا، وقد قيل لنا أن علينا أن نتحمّل وأن نحمد الله لأن غيرنا لا يجد الدكّة التي يجلس عليها! كما أننا كبرْنا ولم يعد من اللائق أن نلجأ إلى أهالينا لحلّ مثل هذه المشاكِل. وهكذا كان لابد من اللجوء إلى أساليب أخرى، وأن نعتمد على أنفسنا في الوصول إلى حل.

بالبحث في الأماكن المخفيّة في المدرسة والتي تمتلىء بالروبابيكيا، استطعنا الحصول على كرسيين خشبيين أحضرناهما ووضعناهما فوق الماسورتين المعدنيتين، وهكذا تسنّى لنا الجلوس، إلا أن الكرسيين أديا إلى ارتفاع مستوى رأسينا عن مستوى رءوس الجالسين في الخلف، وقد أدت الاحتجاجات والشكاوى المتتالية إلى إجبارنا على التخلي عن الكرسيين والعودة للجلوس على الماسورتين.

قررنا اللجوء إلى الأساليب الخبيثة، فقمنا باستبدال بالدكة التالفة دكة أخرى حصلنا عليها من فصل مجاور. وضعنا الدكة التالفة مكانها أثناء طابور الصباح وعدنا إلى الفصل بالدكة السليمة راسمين إمارات البراءة على وجوهنا. ظننا أننا قمنا بحل المشكلة هكذا. مضت الحصة الأولى بسلام ثم الثانية، وقبل بداية الثالثة رأينا وجهين غاضبين يدخلان الفصل ويفحصان الدكك إلى أن توصلا إلى دكتهما المطلوبة وأخذاها من تحتنا. تعجبت كيف عرفا دكتهما وسط الدكك المتشابهة التي تملأ الفصول، لكن هذا السؤال لم يكن هو مشكلتي الملحّة بينما أحمل الدكة التالفة وأعود بها إلى الفصل!

كان لابد من وقفة كبرى يعتمد فيها الإنسان على نفسه ويتحدى الظروف والعواصف والأعاصير.

استيقظت في ذلك اليوم مبكرا جدا، ووصلت إلى المدرسة قبل وصول الفراشين وصعدت إلى الفصل. حملت الدكة التالفة ووضعتها في آخر فصل في الدور، واستبدلت أماكن كل دكك الفصل مع بعضها، وأخذت دكة سليمة ذهبت بها إلى فصل آخر واستبدلت أماكن الدكك مرة أخرى، ثم أخذت دكة سليمة وكررت الأمر مع فصل آخر، وحصلت على دكة سليمة بحيث يكون صاحب الدكة المأخوذة قد حصل على دكة أفضل منها حتى لا أعطيه دافعا للبحث عن دكته، وهكذا تاه الموضوع تماما

وأصبح من المستحيل على أي شخص أن يتتبّع الأمر ليصل إلى دكته الأصليّة.

أصبح لديّ الآن دكّة وأصبحت المشكلة في حِجْر شخص آخر، وحتى اليوم لم يتوصل أحد إلى سر الدكة التالفة!

أنا والإنشاء والتعبير!

كانت مفاجأة سارة لي، عندما كنت أفتش في سطح بيتنا فوجدت بعض كشاكيل الإنشاء والتعبير.

تفرض علينا مناهج اللغة العربية، من خلال الإنشاء والتعبير، أن نكون كتابا وصحفيين. فعلينا أن نتعلم كتابة الموضوعات الصحفية من أضيق أبوابها، وهو الكتابة في الموضوعات العامة بالتكليف المباشر! يطلبون منا كتابة موضوعات لو طلبناها من كتاب كبار سيحتارون ماذا يكتبون، فماذا يمكن أن تكتب عن موضوع رأسه كالآتي: "النجاح والتفوق وليد العمل الجاد والاجتهاد والإخلاص في العمل والثقة بالنفس والإيمان بالله"؟ أو انظر إلى هذا الموضوع: "يتطور أفراد المجتمع ويزدهر ويرقى في إنتاجه إذا كان أفراد هذا المجتمع جادين فى خدمة وطنهم"، أو "إن أصالة الشعوب وحضارتها تظهر في أوقات الكوارث والمحن". ماذا يمكن أن تكتب إذا طلب منك أن تتخيل أنك أبو الهول وأن تتكلم بلسانه؟!! أو أن تكتب عن المشاعر التي جاشت بصدرك عند استضافة مصر لمؤتمر السكان؟! أنا عن نفسي لم أكن أشعر بأي شيء! لكن عندما أقلب في دفاتر الإنشاء التي كتبتها اكتشف أننا كنا عباقرة ونحن صغار لأننا استطعنا الكتابة في تلك الموضوعات!

وكنا نكتب الكثير من الكلام الجعلص الكبير مثل "اهتز العالم اهتزازا لاختيار أرض مصر لعقد مؤتمر السكان عليها"!! أو "أما مصر فكانت كعهدنا بها دائما حازمة قوية، واجهت الإرهاب بكل حزم وإصرار"، وفى موضوع عن الحرية وجدت هذه الجملة العجيبة: "تستنشق هواء كأنك لم تستنشق هواء منذ ولدت، وكأن الهواء كان محبوسا في صدرك طوال الأسبوع فأفرغته دفعة واحدة حتى كاد أن يقتلع الأشجار من جذورها وحتى كاد أن يشعل النار ويوقد الجمر من سخونته، ومن اشتياقه للانطلاق بعد أن كان محبوسا في صدرك"!! وكنا نطعّم الكلام بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحِكَم العربية والأبيات الشعرية، حتى أنني أتعجب كيف كنا نحفظ كل هذا، وكيف نجد هذا الكلام الذي نكتبه في هذه الموضوعات الهلامية، وأنا – في هذه السن – قد فشلت في معظم المرات التي طلب فيها منى أن أكتب عن موضوعات معينة، ولا أعرف أن أكتب -- جيدا – إلا في الموضوعات التي أختارها أنا.

وقد لاحظت أنه على الرغم من اختلاف مستوى المواضيع التي كتبتها خلال السنة بين الجودة والرداءة، إلا أنها جميعا حصلت على ثمانية من عشرة! وإذا كان لهذا الأمر معنى فمعناه أن المدرس لم يكن يقرأ شيئا من هذا الكلام كله! وفى الثانوية العامة كان المعلم ينصحنا أن نكتب أكبر قدر ممكن في موضوع الإنشاء، لأن التصحيح يتم بقياس الموضوع بالشّبر! ويجب فقط

الاهتمام بالجملة الأولى والأخيرة، أما ما بينهما فلا تتم قراءته! وكانوا يضربون لنا هذا المثل: إذا كتب طالب موضوعا في صفحة وغش منه طالب آخر نفس الكلمات لكنه كتبها في صفحتين، ثم غش طالب ثالث نفس الكلمات لكنه كتبها في ثلاث صفحات، فإن الثالث يحصل على تسعة من عشرة، والثاني على سبعة والأول على خمسة!

وبغض النظر عن أسلوب وطريقة التصحيح، فإنني لا أشعر عندما أقرأ هذه الكشاكيل الآن أنني أنا الذي كتبها، وإنما أشعر أنها كشاكيل كتبها المنفلوطي! فلم أرَ فيها شيئا من أسلوبي أو رأيا من آرائي، فلم يعلمنا أحد أن نعبّر عن آرائنا أو أن نفكر ونستنتج لنصل إلى فكرة أو قناعة جديدة، فكل شيء جاهز ومعلب ويقدم لنا في كتب المدرسة مثل الطبيخ البايت، طبيخ عمره عشرات السنين من مقالات وأفكار وأساليب في الكتابة عفا عليها الزمان، ولم تعد تصلح سوى للف أقراص الطعمية، فلم يعرّفنا أحد على الأساليب الجديدة في الكتابة (تلك الأساليب التي ظهرت فى الستينات، لكنها تعتبر جديدة بالنسبة لنا لأننا ندرس الأدب العباسي والعثماني!)، ولم يقدم لنا أحد كتابا يمكن أن نقرأه بشيء من المتعة وليس بعصر الليمون على الصفحات، لهذا خرجت أجيال تكره القراءة وتنفر من الكتابة، لأنهم يظنون أن كل كتاب كالكتاب المدرسي، وكل موضوع للكتابة كمواضيع الإنشاء والتعبير!

علموا أولادكم السباحة والرماية وتشريح الضفادع!

حزنت على حالنا عندما رأيت أطفال المرحلة الابتدائية في فيلم ET وهم يقومون بتشريح الضفادع في حصة العلوم في المدرسة، ذلك العمل الذي لا يقوم به لدينا سوى طلبة الطب والصيدلية والعلوم. إن تشريح الضفادع يعطي فكرة عامة عن الجسم البشري، وكيف يعمل وكيف يبدو من الداخل. ما هو الأورطى وبم يتصل وأين يقع الكبد ومن أين تمر الأوردة والشرايين، وكيف تلتف هذه الأمعاء الطويلة في هذا المكان الصغير. وهذه معرفة أساسية لكل إنسان فليس أولى من أن تتعرف على جسدك.

نحن شعب قليل المعرفة الطبية، إن لم يكن معدومها، والسبب في ذلك هو نظامنا التعليمي القاصر. لا نتعلم شيئا عن الأمراض والأدوية وطرق العلاج في مناهجنا الدراسية (باستثناء البلهارسيا طبعا)، بعكس المواطن الأمريكي والأوروبي الذي يمتلك معرفة طبية مرتفعة جدا، تؤهله لأن يناقش الطبيب المعالج وأن يستفسر منه عن الحالة بالضبط، وذلك طبعا نتيجة لما تعلمه في المدارس.

لازال الناس في بلادنا ينخدعون بإعلانات الجرائد عن الكبسولة السحرية التي تفقدك أربعين كيلوجراما من وزنك في يومين، وعن الكبسولة، السحرية أيضا، التي تخلصك من مرض السكر نهائيا، والأعشاب التي تعالج كل شيء عجز عنه الطب الحديث، من السرطان وحتى الإيدز. ولازالوا يحجّون إلى النصابين الذين يعالجون بدم الحمام، ولحم القطط، وكاسات الهواء، وطاسة الخضة. ويعتقدون أن مرض السكر ينجم عن أكل السكر، وأن الفاكهة التي تنتمي إلى الموالح سميت هكذا لأنها تمتلئ بالملح، ويقيسون حرارة الطفل باليد، ويتعاطون المضاد الحيوي لكل الأسباب غير المنطقية الممكنة، حتى أن المضادات الحيوية العادية لم تعد تجدي بتاتا في بلادنا.

ليس تعليمنا قاصرا من الناحية الطبية فقط، بل من نواح هامة أخرى أيضا، من أهمها المعرفة القانونية. هناك حد أدنى من المعرفة القانونية يجب أن يتسلح به المواطن حتى لا يتورط في قضايا مهلكة. يجب أن نعلم الطالب في المدرسة ألا يوقع على ورقة دون أن يقرأها – مثلا، وأن من حقه أن يطالب ضابط الشرطة الذي يستوقفه في الشارع بأن يبرز هويته حتى لا يقع ضحية لنصاب، يجب أيضا أن نعرّفه بالجرائم التي يعاقب عليها القانون في بلده حتى يتجنبها، وبحقوقه حتى يطالب بها.

ينقصنا أيضا أن نتعلم كيف نتصرف في المواقف المختلفة، كيف نقوم بالإسعافات الأولية اللازمة لإنقاذ حياة إنسان، ماذا نفعل عند حدوث حادث مروري؟ عند حدوث حريق؟ ما هو رقم الإسعاف؟ ما هو رقم المطافئ؟ ما هو رقم النجدة؟ كل هذه أشياء يتعلمها الطالب في المدرسة في الدول المتقدمة، لهذا نجد أن لهم سلوكا موحدا في المواقف لأنها أشياء يتعلمونها منذ الصغر، بينما التخبط هو الشيء المشترك الوحيد الذي نشترك فيه.

هناك لجان تقوم الآن بإعادة فحص المناهج الدراسية، نرجو أن تتنبّه إلى أوجه القصور هذه، وأن تركّز على الأشياء التي لها تطبيق في الحياة العملية، أكثر من كل هذا الحشو النظري الذي يخرج من الرأس بمجرد انتهاء الامتحان.

إن التعليم الجيد هو المفتاح الأساسي لصنع مواطن صالح، والمواطن الصالح هو ما تحتاج إليه الحكومة!

أورفوار مون فرونسيه!

لازلت حزينا على لغتي الفرنسية التي ضاعت.

في الثانوية العامة تقدمت لغتي الفرنسية لدرجة أنني كنت أراسل بها صديقا في كندا، وأنني كنت أشتري الأهرام إبدو من آن لآخر، وفي امتحان الثانوية حصلت على تسعة وعشرين درجة ونصف من ثلاثين. الآن لا أعرف شيئا عن الفرنسية. أنظر إليها كطلاسم هيروغليفية ولا أتذكر منها سوى

.Malheureusement je ne suis pas libre!

أتعجب أين ذهبت كل الكلمات التي حفظتها وكل التصريفات التي تدربت عليها مرات عديدة. كل هذا تبخر ولم يعد له وجود. أين ذهبت مجهودات مدام حفصة ومدام مارسيل على مدى سنوات الثانوي؟ أين اختفى كل هذا؟

أحزن كثيرا على الأشياء التي أنساها. لماذا تعبت ثلاث سنوات إذن إذا كنت لا أتذكر شيئا من الفرنسية الآن؟ وما فائدة الجدول الدوري للعناصر إذا كان قد تبخر من رأسي؟ ودورة الموسيقى التي تعلمت فيها قراءة النوتة؟ أين ذهبت قائمة المحاصيل الموسمية، وقصائد أحمد بك شوقي وحافظ إبراهيم، والعدد الذري للكالسيوم، والأسماء الممنوعة من الصرف،

وقوانين نيوتن، وخواص السوائل المتحركة، وطرق التوصيل على التوازي، ومساحة أوروبا وعدد سكانها، وخواص أشباه الموصلات، ومسار الدم في الجهاز الدوري، وأوامر الدوس، وثلاث حالات قاعدة If، وعشرات القصص التي قرأتها ولا أتذكر حتى أسماءها؟! أين ذهبت كل هذه الأشياء؟

يقولون أن أي شيء تراه العين أو يدركه المخ يخزن في مكان ما من الذاكرة، وأن لا شيء يضيع أبدا، والمخ يشبه هارد ديسك الكمبيوتر في هذه النقطة، فلا شيء يسجل على الهارد ديسك إلا ويمكن استعادته، وهناك شركات متخصصة في الولايات المتحدة لاستخراج المعلومات الضائعة من الهارد ديسك مقابل مبالغ فلكية. أما بالنسبة للمخ البشري فيقال أن خبراء التنويم المغناطيسي قادرون على استخراج المعلومات القديمة المنسية في الدماغ باستخدام تقنياتهم الغريبة. لكن من أين يمكن الحصول على المنومين المغناطيسيين حين يحتاج المرء إلى الحصول على معلومة من عقله؟!

تعرف الذاكرة بأنها القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات، وهي تتكون من ثلاث مراحل: التّكويد وهي مرحلة استقبال المعلومات واستيعابها ومعالجتها، والتخزين وهي مرحلة تسجيل المعلومة في مكان ما، ثم الاستعادة وهي القدرة على تذكر المعلومة. ويعرّف البعض النسيان بأنه عملية طبيعية لتحديث المعلومات، بحيث لا يظل في الذاكرة سوى المعلومة المفيدة

والمعلومة الأحدث. ويقال أن الطريقة الأفضل للاحتفاظ بالمعلومة هي استخدامها.

في الثلاثينات حاول العالم "كارل لاشلي" أن يجد موقع الذاكرة في المخ بأن درب الفئران على أداء مهام بسيطة ثم أخذ يزيل أجزاء من مخها جزءا تلو الآخر. ازداد سلوك الفئران سوءا بازدياد حجم الأجزاء المزالة من المخ، لكنه لم يستطع أن يحدد أين تقع مراكز الذاكرة بالضبط. وأنا أريد أن أعرف أين تضيع المعلومات التي تهرب مني، وكيف يمكن استعادها.

إحساس بالعدم واللاجدوى يصاحب النسيان، وأحيانا إحساس بالعار إذا أدى النسيان إلى إهمال مسبب للخسائر، وأيضا إذا حدث في الامتحانات الشفهية! النسيان نوع من العبث الفوضوي. بروفة لموت الدماغ، وسبب وجيه للتخلي عن الدراسة وبذل الجهد.

لا أعتقد أنني يمكن أن أعيد دراسة الفرنسية مرة أخرى، لذا سأقول لها أورفوار مون فرونسيه!

الأدلّة

دليل الطالب الرغّاي

كنت قد تعرضت مرة لمشكلة بسبب قيامي بالرغي في المدرج، وأدركت وقتئذ أنه لا يكفي أن يكون المرء مدركا تماما للأصول الصحيحة للرغي الخفي، فمن الممكن أن يأتي الخطأ من الطرف الآخر الذي تحدثه، وقد يتطور الأمر إلى الطرد من المدرج مع زميلك، ويصبح الأمر محرجا جدا إذا طُردت مع زميلة، فبالإضافة إلى تحمل التعليقات والنظرات الثاقبة، تبزغ في الأفق (التساؤلات) عما حدث، في حين أن الأمر لا يزيد عن بعض الرغي البريء! وسواء كنت تتكلم في المحاضرة فقط لفتح فرجة من الأمل في حائط الملل أو كنوع من التحدي، فقد أخذت على عاتقي – في هذا الدليل – مهمة نشر الثقافة الرغويّة (من الفعل يرغي) للوقاية من الوقوع في المواقف المحرجة.

هناك قواعد هامة جدا ينبغي اتباعها عند الرغي في المدرجات والفصول:

١. الجالسون في الأمام لا يخضعون للمراقبة:

عندما كنت في المدرسة، كنت أجلس في الصفوف الأمامية وأحيانا في الصف الأول الملاصق للمدرس.

والطلبة عموما دائما ما يتشاجرون في اليوم الأول من العام الدراسي على المقاعد الخلفية، فقط لأنهم لا يعرفون هذه القاعدة.

وأعترف أنني كنت أرغي كثيرا أثناء الحصة، وربما كنت أكثر الطلبة (رغيا) في الفصل. أما المدرس فكاد أن يجن ليعرف من أين يأتي هذا الصوت! لأنه ما أن يسمع صوتا حتى يتجه ببصره إلى الصفوف الخلفية، ولا يتصور أن الصوت يأتي من أمامه مباشرة!

ملحوظة: نفس الكلام ينطبق على المدرجات.

٢. لا تنظر مباشرة إلى من تحدثه:

عندما يبحث المحاضر عمن يتكلم، من الصعب أن يبحث عن الأفواه المفتوحة، ولكن من السهل جدا أن يبحث عمن يلتفت خلفه أو بجانبه، فالملتفت إلى زميله هو بالتأكيد من يتكلم.

٣. تحكم في شفتيك:

هناك حرفان فقط في اللغة العربية يحتاجان أن تضم شفتيك على بعضها حتى تستطيع نطقهما. الحرفان هما الميم والباء. معنى ذلك أنك تستطيع أن تتكلم معظم الكلام وشفتاك منفرجتان لا تتحركان، وهي قاعدة ينبغي اتباعها مع الأساتذة المتزمتين الذين لا يكفي معهم اتباع القاعدة رقم ٢.

تذكر: هذه القاعدة تحتاج إلى تدريب مستمر!

٤. انظر إلى المحاضر وأنت تتكلم:

أنت طالب مثالي. تتابع المحاضر جيدا ولا يفوتك شيء مما يقوله، لذلك فأنت توجه نظراتك إليه باستمرار. وهكذا:

أ – يظن المحاضر أنك متابع جيد له.

ب – تعرف متى تتوقف عن الكلام إذا اصطدمت عيناه بك.

٥. لا تضطرب وامض في الاستهبال حتى النهاية:

هذه هي أصعب قاعدة في الموضوع وتحتاج إلى احتكاك مستمر في الملاعب.

لنفترض أنك ضبطت وأنت تتكلم. لقد توقف المحاضر عن الشرح. سَكَت وظل محدقا فيك.

مع اتباعك التام للقواعد السابقة ستكون هناك بذرة شك ولو صغيرة في نفس المحاضر تجاهك: هل أنت فعلا من يتكلم أم شخص آخر؟ عليك هنا التقاط هذه البذرة ورعايتها وسقايتها حتى تتحول إلى شجرة وارفة الظلال! كيف؟

هناك قاعدتان مختلفتان في هذا الموضوع:

أ – قاعدة الطالب البريء:

استمر في النظر إلى عينيّ المحاضر وكأنك لست المعني بالأمر، وعليك هنا أن تضع براءة الدنيا كلها في عينيك.. الأمر الذي لا يقدر عليه الكثيرون!

ب – قاعدة الطالب المثالي:

هذه القاعدة تتبعها المدرسة الأخرى الأكثر جرأة، وهي أصلح للتعامل مع الأساتذة أصحاب النظرات الحادة، والذين لا تصلح معهم قاعدة الطالب البريء.

خد بالك: أنت طالب مثالي! لذلك عليك أن تتجاهل النظرة الموجّهة إليك وأن تواصل كتابة ملاحظاتك المهمة في كشكولك، وقد يكون من المناسب أن تلقي نظرة على كشكول زميلك كأن شيئا قد فاتك كتابته!

هنا سيشك المحاضر في قدرته على الاكتشاف، ويشعر أنه قد ظلم طالبا مجتهدا فينصرف عنك!

٦. ماذا تفعل إذا وُجِّه إليك السؤال الرهيب: "أنا كنت باتكلم في إيه؟":

كان عليك أن تحتفظ بحد أدنى من الانتباه أثناء المحاضرة لتعمل حساب سؤال كهذا. وعموما لا تقلق، هذا السؤال بلا إجابة، ولن يستطيع أحد أن يجيب عنه حتى ولو كان منتبها في المحاضرة بنسبة مائة بالمائة!

٧. مرحلة الخطر:

لقد ضبطت فعلا ولا فائدة من الإنكار، بل لقد وجه إليك المحاضر إنذارا كلاميا.

أ – الحجة الجاهزة هي أنك كنت تسأل زميلك عن شيء فاتك في المحاضرة. إذا كان المحاضر طيبا سيقول لك: "بعد كده ابقى اسألني أنا" وينتهي الموضوع عند هذا الحد.

ب – إذا لم تنفع هذه الحجة، عليك هنا أن تنسى الطالب البريء والطالب المثالي، وأن تتذكر أنك الطالب المؤدب.. المؤدب جدا!

قدمت لكم خلاصة خبرتي الرغويّة (عرفنا أنها من الفعل يرغي) في هذا الدليل. إذا واجهتكم أية مشكلات في تطبيق القواعد الواردة، برجاء الاتصال بي في مركز الصيانة على العنوان التالي

michelhn@gmail.com:

دليل الطالب العاطفي لبدء حياة عاطفية في جامعة ليست كذلك!

دائما ما يُمني الطالب العاطفي نفسه بحياة عاطفية سعيدة في الجامعة، بعد سنوات الحرمان العاطفي في إعدادي وثانوي.

أول ما يقابل الطالب عند دخوله إلى الجامعة هو شعور صادم بحرية مفاجئة؛ فأنت تتخلى أخيرا عن اليونيفورم المدرسي وترتدي ما تشاء، يمكنك أن تَحضُر وسماعات الـ MP٣ في أذنيك والحظاظات في معصميك، وأن تَتَمَنظَر كما تشاء للفت انتباه تلك الكائنات التي لا تحمل الكروموسوم واي، وربما تطيل شعرك أيضا، وذلك دون أن يخرجك المشرف من الطابور ويقص شعرك بالمقص أو يصادر منك حظاظاتك وأسلحتك من وسائل الروشنة الأخرى. الآن أنت حرّ وإن كنت لن تسلم تماما من تعليقات لاذعة من بعض الأساتذة إذا تماديت في الروشنة ونسيت أن هذه جامعة وليست النادي.

الخطوة الأهم من هذا كله هي استئناف العلاقات المقطوعة بين الجنسين الشقيقين الذين يتكون منهما عنصريّ الأمة – أتكلم عن الذكور والإناث طبعا! ففي بلادنا تنقطع معظم

العلاقات بين الجنسين من بعد الصف الخامس الابتدائي (أو السادس انت وظروفك) وتظل مقطوعة إلى أن تدخل الجامعة (إذا دخلتها برضه انت وظروفك!). بالطبع يؤدي هذا الانقطاع التام في العلاقات الدبلوماسية بين الجنسين إلى صعوبات جمّة في استئناف هذه العلاقات، ذلك أن مفردات الحديث تتغير بتغيّر الأزمنة والأوقات، فمن المؤكد أن الكلام الذي كنت تقوله لزميلتك في الشهادة الابتدائية لم يعد يصلح لزميلتك في المرحلة الجامعية!

بالطبع لا يعاني طلبة المدارس المشتركة من هذه المشكلة، وبالتالي فهم يكونون أسرع من غيرهم في تكوين الشلل والتربيطات التي تتكون وتستقر في أشكال نهائية في السنة الأولى من الجامعة، وتظل مستمرة حتى التخرج.

لذا على الطالب المستجد من فئة الطلبة مقطوعي العلاقات أن يجاهد بسرعة لاستئناف العلاقات الدبلوماسية. في الأيام الأولى من الجامعة ستظهر شلل وحيدة الجنس (ذكور فقط / إناث فقط) وذلك لسهولة تكوين هذه العلاقات أحادية الجنس نظرا للتعود عليها من قَبل خلال سنوات المدرسة. شِلل الأيام الأولى في الجامعة تكون غير مستقرة في الأعم الأغلب، إذ غالبا ما تنفصم عُراها لتتفكك في اتجاه التعددية. قلة فقط من الشّلَلْ وحيدة الجنس هي التي تستمر، وغالبا ما تتكون من طلبة كانوا

زملاء أيام المدرسة أو طلبة وطالبات يحرّمون الاختلاط، وغالبا ما تجد الشلل الذكورية تجلس متجاورة في الصفوف الأخيرة من المدرج، بينما تجلس الشلل الأنثوية متجاورة في الصفوف الأولى وهي تتكون في الغالب من فتيات ترتدين الخمار ولا تكلمن أحدا من خارج (الوَسَط) سواء كان شابا أم فتاة!

بناء على هذا إذا كنت تطمح إلى استئناف العلاقات الدبلوماسية المعهودة، حاول أن (تخلع) من تلك الشلل أحادية الجنس التي ستجد نفسك متورطا فيها في الأيام الأولى بأسرع وقت ممكن، ذلك لأن الشلل الأخرى تتكون بسرعة ثم تنغلق على نفسها، ويكون من الصعب انضمام أعضاء جدد لاحقا، فلا يكون أمامك سوى أن تجرب حظك في العلاقات الثنائية، مع ملاحظة أن: إذا كنت تطمح للعلاقات الثنائية في الأساس فإن الشلل هي التي تفتح لهذه العلاقات الباب.

أحيانا يجبرك سوء الحظ على الانضمام لتلك الشلل وحيدة الجنس، ففي الكليات العملية قد تجد سكاشن كاملة من (أحمد) أو (محمد) وبالتالي تكون الصحبة الذكورية إجبارية، أو قد تكون هناك سكاشن كاملة من (مروة) وبالتالي سينحصر الحديث في الجيرل توك. في هذه الحالة يجب أن تفكر جديا في التحويل إلى كلية أخرى!

دليل طالب العملي للبقاء على قيد الحياة في المعمل

لا تقتصر الدراسة في كليات مثل الطب والصيدلة والأسنان والعلوم والزراعة على الدراسة النظرية، ولهذا أسموها الكليات العملية. عملية لأن جزءا من الدراسة يتم في المعمل، ولأن حال المعامل في كلياتنا فقيرة الميزانية ليس أفضل – ولا أسوأ – من أي شيء آخر في بلادنا، فإن الدراسة في المعمل لا تتطلب من الطالب مجرد أن ينتبه لينجح، لكنها أيضا تتطلب أن ينتبه ليعيش! فما أكثر الحوادث التي تحدث في المعامل نتيجة لضعف التجهيزات وفقرها.

١. أول مشكلة تقابل الطالب في المعمل هي كثرة عدد الطلبة وقلة الأدوات المعملية مما يؤدي إلى أن يشترك أكثر من طالب في تنفيذ تجربة واحدة، وقد يصل عدد الطلبة المشتركين في التجربة إلى ٢٥ طالبا! بالطبع واحد فقط هو الذي سيعمل والباقون يتفرجون مع العلم بأن هذه التجربة التي لم يعملها أحد قد تكون هي تجربة الامتحان التي سيؤديها الطالب، وبالتالي تكون نسبة النجاح إلى الرسوب هي واحد إلى أربعة وعشرين!

٢. ثاني مشكلة تقابل الطالب في المعمل هي كيفية الاستفسار من المعيد عما لم يفهمه، حيث يفاجأ الطالب بأن المعيد لا يرد عليه وكأنه هواء، وسيمر وقت طويل قبل أن يكتشف أن المعيد لا يرد سوى على البنات! وقد يظن الطالب أن المعيدات يمكن أن يرددن عليه، إلا أن المفاجأة هي أن المعيدات أيضا لا يرددن سوى على البنات أيضا! وهنا قد يتمنى الطالب أن يكون بنتا ليرد عليه أحد، لكن حل هذه المشكلة بسيط ولا يتكلف كثيرا مثل عمليات تحويل الجنس. الحل هو أن يوصي الطالب إحدى زميلاته بنقل الأسئلة التي يريد أن يسألها إلى المعيد ثم تعود له بالإجابة!

٣. في معامل الكيمياء يكون من الضروري أحيانا القيام بوزن المواد الكيميائية المطلوب استعمالها، وبالتأكيد هو أمر هام جدا في الامتحان لتحضير تركيبة صحيحة. لكن هناك ميزانين حساسين فقط في المعمل يستعملهما السكشن كله! هل تعرف تلك الفتيات اللواتي تستحوذن على الصفوف الأولى في المحاضرة ولا تكلمن أحدا؟ حسنا، هاته الفتيات تستولين على الموازين وتقف الواحدة منهن فترة طويلة جدا من وقت الامتحان القصير تريد أن تزن المواد الكيماوية بدقة متناهية، فإذا كان المطلوب وزن جرام واحد فإنها تضع البودرة لترى أن القراءة على الشاشة أكثر من المطلوب بواحد من المائة، من المفترض أن هذه

تعتبر قراءة صحيحة، لكنها تأخذ جزءا من البودرة لتقل القراءة عن الواحد، فتضيف البودرة لتصبح أكثر من الواحد وهكذا إلى ما لانهاية! ذلك لأنها تريد أن تحصل على واحد جرام بالضبط وهذا غير ممكن عمليا، وهكذا قد تضيِّع على السكشن كله الامتحان ويقف وراءها طابور كامل من الطلبة المغلوبين على أمرهم وهم على وشك الإصابة بالشلل الرباعي من الغيظ، وإذا تكلمت معها فإنها لا تلتفت إليك ولا ترد عليك مطلقا، ولن تتوقف عن محاولاتها إلا إذا رأت أمامها رقم واحد ثم علامة عشرية ثم صفرين، وعندها تفاجأ أنت بأنها لن تتحرك بعد لأنها أحضرت معها كل المواد الكيميائية المطلوبة لتزنها مرة واحدة!

٤ . احترس جدا من البنات داخل المعمل، فهن أكثر خطورة على الموجودين فيه من دعاة الإصلاح على الحكومة! هناك قواعد أمان للعمل في المعمل، كي لا تؤذي نفسك أو غيرك. بالطبع لا أحد يتبع هذه القواعد لأن أحدا لم يتطوع ليشرحها للطلبة، رغم أن هذا يجب أن يكون أول ما يدرسه طالب العملي. حسنا، دعك من أي شيء الآن وتأكد أنك تقف في المعمل في دائرة خالية تماما من البنات بحيث لا يقل نصف قطر هذه الدائرة عن نصف كيلومتر، ذلك لأن رد فعلهن الهستيري في المواقف الصعبة قد يؤدي بك أن تحرق حيا كما كاد أن يحدث مع كاتب هذه السطور! ففي إحدى المرات كانت إحدى

(الزميلات الفضليات) تعمل حماما مائيا لمحلول كحولي، فتشبعت القطنة التي تسد بها الزجاجة ببخار الكحول وبالتالي اشتعلت القطنة عندما رفعتها أمام النار، وفي الحال ألقت القطنة المشتعلة على الشخص الذي يقف خلفها الذي هو أنا! سقطت القطنة على كتفي، ولأنني كنت أرتدي بالطو من ألياف صناعية لا تتأثر بالأحماض فقد اكتشفت أن هذه الألياف سريعة الاشتعال لأنني فوجئت بكتفي يشتعل ويتصاعد منه اللهب، ولولا أنني تمكنت من خلع البالطو بسرعة لما كنت أكتب الآن هذه السطور! لذا أكرر، احترس من البنات!

٥. احترس أيضا من (إسماعيل ياسين في المعمل). (إسماعيل ياسين في المعمل) هو شخص يتصرف (كاسماعيل ياسين في الجيش) ولكن في المعمل! إسماعيل ياسين هو شخص ربما مهمل وربما "بيستهبل"، فهو يغلي الأحماض في أنابيب اختبار فوهتها موجهة إلى وجهك (والمفروض أن توجه إلى الجدار)، بحيث إذا انفجر الحمض فجأة تتحول على الفور إلى شخص شبيه بجاسون المرعب! وهو يسكب الكيماويات في كل مكان ويستعير أدواتك ويحطمها وكشاكيلك وينساها على حامل لهب بترن! إذا رأيت إسماعيل ياسين في طرف المعمل اتجه فورا إلى الطرف الآخر منه.

٦. احترس من الأحماض. الأحماض والملابس لا يجتمعون في مكان! لقد فقد كاتب هذه السطور دولابا كاملا من الملابس

أثناء دراسته العلمية المعملية الفذة. حامض الكبريتيك بالذات يذيب القطن تماما. احترس أيضا أن تجلس على أي شيء أيا كان في المعمل، فأنت لا تعلم ما قد يمكن أن يكون قد انسكب عليه قبلا. في أحد الصباحات الشتوية الناعسة ارتديت ملابسي وتهيأت للنزول للكلية، ونظرت في المرآة لأفاجأ بأن البنطلون مهترىء تماما من الخلف! بالبحث والتقصي تذكرت أنني كنت متعبا في معمل الكيمياء فجلست على أحد البراميل الضخمة المنتشرة في المعمل. ويبدو أن هذا البرميل كان عليه آثار من حامض الكبريتيك (الزاج الأخضر كما يقول عنه الكيمائيون العرب)، وأثناء الليل قام الحمض بإذابة ألياف البنطلون تماما، وحمدت الله أنني نظرت في المرآة قبل أن أنزل في ذلك اليوم – وأنا نادرا ما أفعل ذلك – وإلا لحدث ما لا تحمد عقباه!

٧. لا تثق بقدراتك المعملية، ولا تستخدم التركيبات التي تحضرها بعد أن تغتر بنفسك قائلا "صنعة إيديّ وحياة عينيّ"، ذلك لأن الدواء به سم قاتل! في إحدى المرات قمنا بتحضير الصابون في المعمل، وقد أخذت صابونتي إلى المترل لأفتخر بها هناك ولأغسل بها وجهي لأعدّل الشعار الشهير إلى "نأكل مما نزرع ونغسل مما نصنع"، ثم أكتشف أن الصودا الكاوية لم تتعادل تماما وأصاب بتسلخات فورية!

٨. احترس من الحماس! بعض التجارب المطلوب إجرائها تكون أكثر من مؤذية، وتذكر دائما أن ماري كوري ماتت بالسرطان لأنها كانت تتذوق العناصر وتكتب الطعم في قائمة خصائص العنصر. في معامل الكيمياء يكون مطلوبا أحيانا حرق المواد الكيميائية وشم ناتج الاحتراق وكتابة الرائحة الناتجة، وهناك تجارب تستلزم استخدام حمض الأسيتيك المطلق، وهذا الحمض تكفي نقطة واحدة منه على الجلد ليعامل المصاب معاملة المحروق. هناك تجارب يستعمل فيها الإيثير سريع التطاير فائق الاشتعال لدرجة أننا كنا نفتح كل صنابير الماء في المعمل ونتأكد أنه لا يوجد لهب في أي مكان قبل أن نفتح زجاجته، لأن المعمل يمكن أن ينفجر إذا تشبع ببخار الإيثير وفتح أحدهم مصدر لهب. في الصف الثالث فاجأنا أستاذ الفارماكولوجي بأننا جميعا أصبنا بميكروب السل عند تعاملنا مع بلغم مرضى السل في معمل الصحة العامة العام الماضي، ونصحنا بأن نهتم بالتغذية وألا نهمل في صحتنا حتى لا ينشط ميكروب السل الذي نحمله! عند إجراء أحد هذه التجارب الخطرة يستحسن أن تجد لنفسك مكانا بعيدا عن الأنظار في المعمل إلى أن تنتهي، وأن تتبع الشعار "مش مهم أنجح بس أعيش"!

٩. للأسف فإنك إذا اتبعت وساوسك بخصوص النظافة فإن هذا سيؤدي بك إلى الاتهام بأنك طالب "فافي". ما الذي يدفع شخصا مُوَسوِسا إلى الإمساك بالضفدع (ذلك الكائن الدبق اللزج) إلا إذا كانت مسألة حياة أو موت، هي مسألة تخرّجَك

من الكلية وحصولك علي الشهادة؟ من الممكن أن ترتدي قفازا أثناء التعامل مع الضفدع وفتح بطنه والخوض في دمائه! لكن في الامتحان العملي سيتهمك الممتحن بالدلع ولن يعطيك درجة جيدة. جمّد قلبك وتشجع وامسك الضفدع الآن لأن الفأر ينتظرك عندما تتقدم في الدراسة أكثر! ظللت أتشجع وأتشجع أثناء سنوات الدراسة في الكلية حتى فقدت القدرة على "القرف" نهائيا، حتى أنه في امتحان العملي في السنة النهائية خاف مني الفأر عندما هممت بإعطائه الحقنة وأصيب بالإسهال وهو في يدي فلم أهتم مطلقا، وقد كان هذا من الممكن أن يصيبني بسكتة قلبية قبل بضعة سنوات!

١٠. في معمل الكيمياء يجب أن تصاب بالحساسية، فأنت تتعامل مع عشرات من المواد الكيميائية المختلفة، والتي يتساقط الكثير منها على يديك نتيجة السرعة في العمل لعدم كفاية الوقت في المعمل. لابد وأن هناك مادة واحدة على الأقل بين هذه العشرات ستسبب لك الحساسية. ستعود إلى المترل ذات يوم لتجد أن إحدى يديك أو كلتيهما قد تضاعفت في الحجم ولم يعد من الممكن ثني أصابعها. ستهرع إلى الطبيب الذي سينصحك بحقنة كورتيزون فتصبح آخرة الاجتهاد في المعمل شكشكة!

١١. معمل الكيمياء بالذات له رائحة حارقة لا تطاق، ناتجة عن امتزاج رائحة عشرات الكيماويات الموجودة في مكان

واحد. سيمكنك تمييز رائحة معمل الكيمياء على بعد مئات الأمتار، وهي بالتأكيد تختلف عن رائحة العفونة في المعامل البيولوجية المليئة بالفئران! حسنا، ستضايقك الرائحة في المرات الأولى فقط، لكن بعد حضور المعمل عدة مرات ستعتاد عليها بل ولن تتنبه لوجودها من الأساس. الأسوأ من ذلك هو أن الرائحة نفسها ستلتصق بك لأن الكثير من الكيماويات ستسقط أثناء العمل على يديك وعلى البالطو. والأكثر سوءا من كل هذا هو نظرات الناس الذين سيتأففون من رائحتك في المترو وأنت عائد إلى المترل، بينما أنت تتعجب من سبب هذه النظرات النارية التي توجه لك طوال الوقت!

١٢. في الكلية لن تستطيع أن تخفي سنتك الدراسية، ذلك أن كل سنة دراسية لها خصائص معملية معينة تظهر على طلابها؛ إذا كنت في السنة الأولى فلابد أن أصابع يديك حمراء من أثر صبغة الآزو. إذا كنت في الثانية فلابد أن يديك – وأجزاء من ملابسك أيضا – صفراء فاقعة من أثر حمض البكريك الذي لا يزول قبل بضعة أسابيع. طلاب السنة الثالثة يتميزون بالعصبية الشديدة وبكونهم على حافة الجنون نتيجة لاضطرارهم لحفظ الرموز الكيميائية لمئات المركبات الخاصة بمادة الكيمياء الصيدلية، وكثير منهم يصابون بحروق في معمل الميكروبيولوجي! طلاب السنة الرابعة يكونون أكثر روقانا لأنهم على وشك التخرج، ولأنهم "كبروا وعقلوا"!

صدر للمؤلف

- برسيم دوت كوم

قصص ساخرة عن عالم الكمبيوتر والإنترنت (٢٠٠٣)

- عالم كلينيكس

مقالات ساخرة – الطبعة الأولى – دار ليلى (٢٠٠٧)

الطبعة الثانية – دار اكتب (٢٠١٣)

- ما هي الماتريكس؟

كتاب سينمائي – دار ليلى (٢٠٠٧)

- الجانب المظلم من القمر

قصص قصيرة – الهيئة العامة لقصور الثقافة (٢٠٠٨)

- هاستا مانانا

مقالات ساخرة – دار ليلى (٢٠١٠)

- ٣٠ طريقة للموت

تاريخ وسائل الإعدام في العالم – دار اكتب – الطبعة الأولى (٢٠١٠)

الطبعة الثانية (٢٠١٣)

• أنا وأنا

كوميكس للكبار (بالاشتراك مع رانية أمين) – دار كوميكس (٢٠١٢)

• وحوش من الماضي

دار اكتب (٢٠١٢)

• الكتاب البنفسجي

كتاب ساحر (٢٠١٢)

كتب جماعية:

• مولوتوف ٢ – عش ولا تقل للموت لا مرتين غدا

دار ليلى للنشر – (٢٠٠٦)

• مولوتوف ٣ – قارة زينهم المفقودة

دار ليلى للنشر – (٢٠٠٦)

• بيت في نهاية شارع – مجموعة قصصية مشتركة

دار ليلى للنشر – (٢٠٠٧)

• خارج السيطرة – كوميكس للكبار

دار العين – (٢٠١١)

الفهرس

في الفنون والجنون

استسلم المكان محاصر!